

الجامعة الإسلامية
المدينة المنورة
كلية اللغة العربية والآداب

الموجز في نشأة النحو

تأليف

الدكتور

محمد الشاطر أحمد محمد

الأستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

صين محمد إمامي وأخوه محمد

٩ ش. الصادقية - الأزهر - القاهرة



Bibliotheca Alexandrina



0155774

الجامعة الإسلامية
المدينة المنورة
كلية اللغة العربية والآداب

الموجز في نشأة النحو

تأليف

الدكتور

محمد الشاطر أحمد محمد

الأستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية
مدير محمد إمام
ش. الصادقية - الأقصر - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين أعظم من نطق بالضاد والظاء ، وحمل لواء الدعوة الغراء والملة السمحاء ، فأعجز العرب البلغاء ، صلى الله عليه وسلم ورضى تعالى عن صحابته أجمعين ، وأثاب بفضلهم علماء المسلمين الذين عنوا بلغة القرآن ، فصنفوا فيها وحرصوا على جمعها ، فأوحى الله اليهم من أسرار العلم وفروعه ، فجالوا في قمته ويتبوعه فأبانوا مكنونه وبلغوا المراد ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأدخلنا وإياهم في جنات النعيم .

« وبعد »

فهذا موجز شاف مبسط في نشأة النحو وأطواره فيه ذكر بعض المشهورين من رجاله وأبطاله حاولت فيه جاهدا إعطاء صورة مبسطة عنهم لقراء العربية ، والله أسأل أن يوفقني وإياهم إلى الهدى والرشاد ، انه رءوف رحيم بالعباد .

المكتور

محمد الشاطر أحمد محمد

فائدة النحو

أجل ما يمكن أن يقال فى النحو ما أثر عن أدرك فوائده،
فقد قيل : الاعراب حلية الكلام ووشيه ، وقيل (١) أيضا :
النحو فى العلم بمنزلة الملح فى القدر والبرامك فى
الطيب (٢) .

وقال اسحاق بن خلف النهروانى (٢٣٠ هـ) (٣) :

النحو يبسط من لسان الألكن
والمرء تكرمه اذا لم يلحن

وانذا طلبت من العلوم أجلها
فأجلها منها مقيم الألسن (٤)

وقال آخر :

النحو صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

وقال ابن سيرين : ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة
ولا على امرأة أحسن من شحم .

(١) عيون الأخبار ١٥٧/٢ .

(٢) البرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك .

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٢٦٦/١ تحقيق محمد فريد وجدى .

(٤) عيون الأخبار ١٥٧/٢ .

وقال ابن شبرمة (١٤٤ هـ) (٥) : اذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية فانها تجريك على النطق وتدنيك من السلطان .

وقيل أيضا : تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض (٦) .

ومن هنا قيل أيضا : الاعراب فرع المعنى ، فاذا فسد الفرع أدى الى تشويه الأصل وعدم فهمه .

ويحكى أن رجلا قال لأعرابي : كيف أهلك ؟ بكسر اللام ، يريد كيف أهلك - بضمها - فقال له الأعرابي : صليا حيث ظن أنه سأل عن هلكته كيف تكون ؟ أو أن الأعرابي قصد هذا قصدا لما أخطأ الرجل في تأدية المعنى المراد عاجزا عن تبين غرضه .

نشأة النحو :

كان اختلاط العرب بغيرهم قبل الاسلام قليلا ، اذ يكاد ينحصر في تجارتهم نحو اليمن أو الشام أو مجاورتهم للفرس والروم ، ولم يكن هذا ليؤثر في اللسان العربي اذ الألفاظ التي كانوا يستعملونها مع هؤلاء وهؤلاء قاصرة غالبا على ما يتعاملون به من نقود أو بيع وشراء أو رفض وقبول وما الى ذلك من أسماء سلعة أو أداة قتال أو غير ذلك من الألفاظ التي لا تؤثر تأثيرا كبيرا في لغتهم التي تجري في كيانهم مجرى الدم في العروق ، فلم تصب لغتهم بداء اللحن الا قليلا

(٥) دائرة معارف القرن العشرين ٢٦٢/٥ .

(٦) عيون الأخبار ١٥٧/٢ .

ولم يكن هذا القليل داعيا الى وضع حد له فانه لا يمثل
الخطورة الكبيرة على اللغة وانما يمثل خطورة اذا زاد
وانتشر واستشرى فى السنة بعض العرب وفصحاء القوم .

ومن هنا نطرح ثلاثة أسئلة : الأول : لماذا وضع
النحو ؟ الثانى : هل كان اللحن معروفا فى الجاهلية وفى
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ الثالث : ما مظاهر انتشار
اللحن التى جعلت الغيورين على دينهم يثمرون عن ساعد
الجد فى وضع قواعد النحو ؟

ويمكن تلخيص الاجابة عن السؤال الأول فى نقطتين : -

الأولى : لانتشار اللحن . الثانية : لغيرة المسلمين
وحرصهم على لغة دينهم لغة القرآن الكريم .

كما يمكن ايجاز الاجابة عن السؤال الثانى : بنعم بأن
اللحن كان معروفا فى الجاهلية وفى عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم ، والمثالان الآتيان يوضحان هذا :

١ - روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه قال : أنا
من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنى لى اللحن (٧) .

٢ - لحن رجل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام : أرشدوا أخاكم فانه قد ضل (٨) .
علام يدل هذان الحديثان ؟ انهما يدلان على مايلى :

(١) ان بعض القبائل العربية كانت تلحن فى لغتها الا من
احتفظ منهم بلغته وخاف عليها من داء اللحن ، وذلك
كقريش وبنى سعد .

(٧) انظر الزهر للسيوطى ٢/٢٩٧ وان ضعف هذا الحديث .

(٨) الخصائص لابن جنى ٨/٢ وارشاد الأريب ٨٢/١ .

(ب) أن اللحن ضلال عن لغة القوم .

(ج) أن العربية تحتاج الى رعاية وعناية وحفظ ، لأنها لغة القرآن والحديث وبرعايتها تحفظ الملة وتفهم أسرارها .

(د) أنه كانت لدى القوم ضوابط لتصحيح اللغة يهتدى العربى برشدها اذا ضل ، وذلك قبل أن يضح أبو الاسود اللبنيات الأولى فى قواعد العربية كما سيأتى .

أما الاجابة عن السؤال الثالث : وهو عن مظاهر اللحن التى جعلت المسلمين يشمرون عن الساعد لموضع حد لهذا الوباء فنقول : لما سطع نور الاسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا اختلط غير العرب بهم واختلط العرب بغيرهم فتطلب هذا أن يفهم بعضهم بعضا ، اذ هم اخوة مسلمون متحابون أو راغبون فى الاسلام متطلعون ، فحدث الاحتكاك فى النطق ، والسمع أبو المالكات ، فسمع هذا نطق ذاك ، وسمع ذلك لحن هذا فتكون من هذا وذاك نطق ليس فصيحاً كله وانما كثير منه أصيب بمرض اللحن ، فكان اللحن وكثر اللحنون ، وامتد أثرهم الى العرب الخالص فى الحواضر والبوادر فى الحكام والمحكومين الا من ندر وقليل ما هم ، فطفق أولو الأمر من المسلمين ينفرون من اللحن ويبغضون فيه .

على أن اللحن لم يكن قاصرا على أواخر الكلمات ، وانما امتد أثره الى الصيغ والأبنية ، والأمثلة الآتية تبين مظاهر هذا اللحن وهى قليل من كثير :

١ - كراهة أبي بكر (١٣ هـ) (٩) رضى الله عنه - للحن ،
وتحذير الناس منه وتنفيرهم عنه ، اذ كان يقول : لأن
أقع فأسقط أهون على من أن أقرأ فالحن (١٠) .

٢ - مر عمر بن الخطاب (٢٣ هـ) (١١) - رضى الله عنه -
على قوم يسيئون الرمي فغضب وقرعهم ، فقالوا : انا قوم
متعلمين فاشتد غضبه وقال : والله لخطوكم فى لسانكم أشد
على من خطوكم فى رميكم « سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم » يقول : رحم الله امرأ أصلح من لسانه (١٢) .

٣ - كتب كاتب لأبى موسى الأشعرى (٤٤ هـ) (١٣)
كتاباً مرسلًا الى عمر : خط فيه : من أبو موسى الأشعرى
الى عمر « فأرسل عمر الى أبى موسى : بأن يضرب كاتبه
بهوطاً ويؤخر عطاءه سنة (١٤) .

٤ - طالب أعرابى فى عهد عمر بن الخطاب أن يقرئه أحد
شيئاً من القرآن فقرأه رجل سورة براءة فلحن فى قوله تعالى
« وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله
بئىء من المشركين ورسوله » (١٥) حيث قرأها بكسر اللام
فى « ورسوله » فقال الأعرابى أوقد برئء الله من رسوله ؟ ان
يكن الله قد برئء من رسوله فأنا أبرأ منه فلما بلغت هذه

(٩) ولد سنة (٥١ ق هـ) وتوفى سنة (١٣ هـ) .
(١٠) وانظر ارشاد الأريب ٧٨/١ مطبوعات دار المأمون .
(١١) ولد سنة (٤٠ ق هـ) وتوفى (٢٣ هـ) .
(١٢) وانظر ارشاد الأريب ٦٧/١ والأضواء لابن الأثير ٢٤٤ طبع
حكومة الكويت .
(١٣) ولد سنة ٢١ ق هـ .
(١٤) والكاتب هو أبو الحصين بن أبى الحر العنبرى وكان أبى
موسى قد استكتبه بعد زياد ، وانظر وفيات الأعيان ٩٩/٥ والخصائص ٨/٢
(١٥) سورة براءة آية ٣ .

الحادثة عمر دعا الأعرابي وقال له : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال الأعرابي : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ان الله برىء من المشركين ورسوله بالرفع فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم ، فأمر عمر بعد ذلك ألا يقرأ القرآن الا عالم باللغة ، وروى أنه رسم لأبى الأسود من عمل الخو ما رسمه وقيل : ان هذه القصة كانت مع علي رضي الله تعالى عنه وقيل انها كانت مع أبى الأسود نفسه في زمن زياد وأن زيادا هو الذي طلب من أبى الأسود أن يصنع شيئاً يقيم عوج الألسنة اللاحقة فأبى أبو الأسود فبعث زياد رجلاً ليقعد له بطريقه وأمره أن يقرأ شيئاً ويتعمد فيه اللحن ، فقرأ « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بالجر فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال : عز وجه الله ان الله لا يبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره الى زياد (٥٣ هـ) فقال يا هذا قد أجيتك الى ما سألت (١٦) .

٥ - ولعل انتشار اللحن جعل عمر بن الخطاب يقول : تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد في المروءة (١٧) وأنه كان يضرب أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطا وكذلك ابنه عبد الله (١٨) .

٦ - ودخل رجل على زياد ، فقال : ان أبينا قد هلك وان أخينا غصبنا ميراثنا من أبانا ، فقال له زياد : ماضيت من نفسك أكثر مما ضيعت من ميراثك ، فلا رحم الله أباك حيث ترك ولداً مثلك (١٩) .

(١٦) وانظر نزهة الألباء صفحة ٧ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٠/٧ والقرطبي ٢٤/١ .
(١٧) إرشاد الأريب ٧٧/١ ، ٧٨ .
(١٨) ولد سنة (١٠ ق هـ) .
(١٩) عيون الأخبار ١٥٩/٢ .

٧ - وسمع أعرابي مؤذنا يقول : أشهد « أن محمدا رسول الله » بنصب رسول الله - فقال ويحك يفعل ماذا (٢٠) .

٨ - ودخل أعرابي على عبد العزيز بن مروان (٨٥ هـ) وشكا اليه ختنه - يعنى صهره ، فقال عبد العزيز : ومن ختنك ؟ بفتح النون - فقال : ختنى الختان ، فتعجب عبد العزيز بن مروان من الاجابة المخالفة للسؤال وكلم من حوله فقالوا : من ختنك ؟ برفع النون ، فقال الأعرابي ختننى فلان بن فلان ، فقال عبد العزيز بن مروان : والله لا شاهدت الناس حتى أعرف العربية ، وأقام فى بيته جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية ، ثم صلى بالناس الجمعة الأخرى وهو أفصح الناس (٢١) .

٩ - كان عبد العزيز هذا يعطى على استقامة العربية ويحرم على اللحن فيروى أنه قدم عليه زوار من أهل المدينة وأهل مكة من قريش فجعل يقول للرجل منهم : من أنت ؟ فيقول الرجل : من بنى فلان ، فيقول للكاتب أعطه مائتى دينار حتى جاءه رجل من بنى عبد الدار ، فقال له : من أنت ؟ فقال من بنو عبد الدار ، فقال عبد العزيز : تجدها من جائزتك ثم قال لكتابه : أعطه مائة دينار .

١٠ - دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك (١٢٥ هـ) فقال له هشام : كم عطاك ؟ فقال : ألفين ، فسكت هشام ساعة ثم قال له : كم عطاوك - بالرفع فقال ألفان ، فقال له هشام : اذا لحنت أولا ؟ فقال : لم أشته أن أكون فارسا

(٢٠) المرجع السابق .

(٢١) ورويت هذه الحادثة بروايات مختلفة وانظر العقد الفريد ٤٨٠/٢ وخزانة الأدب الشاهد ٦٥١ .

وأمر المؤمنين راجل ، لحننت فلحننت ، وأصابت فأصابت
فاستحسن هشام أدبه وأجازه .

١١ - وروى أن عمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ) كان عند
الوليد بن عبد الملك (٩٦ هـ) وكان الوليد لحنانا - وكان لحنه
هذا من أعظم المصائب في نفس أبيه عبد الملك (٨٦ هـ) الذي
حرص على تعليمه العربية فلم يفلح (٢٢) .

فقال الوليد لغلام : يا غلام ادع لى صالح ، فقال الغلام :
يا صالحا ، فقال الوليد : أنقص ألف ، فقال عمر للوليد ،
وأما أنت فزد في ألفك ألفا (٢٣) .

١٢ - بل هذا هو الحجاج الذي يقال عنه فيمن يقال
عنهم : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي (١٠٣ هـ)
وعبد الملك بن مروان (٨٦ هـ) والحجاج بن يوسف (٩٥ هـ)
وابن القرية (٨٤ هـ) والحجاج أفصحهم - يروى أنه كان
يقرا أحب بالرفع في الآية الكريمة من قوله تعالى : « قل
إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله » (٢٤) ومع قراءته
بالرفع لم يلتفت الى لحنه الا بعد أن نبهه يحيى بن يعمر
(١٢٩ هـ) الى هذا فكان جزاؤه جزاء سنمار (٢٥) حيث
نفى الى خراسان (٢٦) .

(٢٢) خزائن الأدب ٥٨٣/٢ .

(٢٣) ورويت هذه القصة بروايات أخرى وانظر العقد الفريد ٤٨٠/٢
والبيان والتبيين للجاحظ ٢١٠ - ٢٢٠ باب اللحن .

(٢٤) التوبة آية ٢٤ .

(٢٥) بقاء رومي كان في عهد النعمان ورماء النعمان من فوق القصر
الذي بناه له .

(٢٦) وانظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٥/٤ وطبقات
النحو بين اللزبيدي ص ٥ .

١٣ - يتغلب اللحن على الحجاج الفصيح الذى يقال عنه : ان الرجل اذا اراد أن يفلت من عمل للحجاج عاذ باللحن فنجا ، فقد روى أن الحجاج بعث الى والى البصرة ، أن اختر لى عشرة ممن عندك ، فاختار رجالا منهم رجل اسمه كثير ، وكان رجلا عربيا فصيحا قال كثير فقلت فى نفسى : لأفلت من الحجاج الا باللحن ، فلما أدخلنا عليه دعانى فقال : ما اسمك ؟ قلت كثير ، قال ابن من ؟ فقلت ابن أبا كثير ، فقال عليك لعنة الله وعلى من بعث بك ، جثوا فى قفاه ، فأخرجت (٢٧) .

١٤ - وسمع أعرابى اماما يقرأ : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » (٢٨) بفتح التاء من تنكحوا ، فقال : سبحان الله هذا قبل الاسلام قبيح فكيف بعده فقل له : انه نحن ، والقراءة ولا تنكحوا بضم التاء فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها اماما فانه يحل ما حرم الله (٢٩) .

١٥ - ويبلغ اللحن قمة السوء اذ دخل أعرابى السوق فسمع التجار يلحنون ، فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون ، ونحن لا نلحن ولا نربح (٣٠) وهذا أبو عمرو بن العلاء يمر بالبصرة فاذا أعدال مطروحة مكتوب عليها « لأبو فلان » فقال : يارب يلحنون ويرزقون (٣١) .

١٦ - قيل لعبد الملك بن مروان : أسرع اليك الشيب ، فقال شيبنى ارتقاء المنابر ومخافة اللحن ، وكان يقول :

(٢٧) ارشاد الأريب ٨٧/١ .

(٢٨) البقرة آية ٢٢١ .

(٢٩) عيون الأخبار ١٦٠/٢ .

(٣٠) وانظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ وعيون الأخبار ١٥٩/٢ .

(٣١) انباه الرواة ٣١٩/٢ .

ان الرجل يسألنى الحاجة فتستجيب نفسى له بها فاذا لحن
انصرفت نفسى عنه ، وكان يرى أن اللحن فى الكلام أقبح
من التفتيق فى الثوب النفيس ، ومن أعظم المصائب عنده
فشل ابنه الوليد فى تعلم العربية •

١٧ - يقول مسلمة بن عبد الملك (١٢٠ هـ) اللحن فى
الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه (٣٢) •

١٨ - وهذا عمر بن عبد العزيز يصور شدة تقززة ونفوره
من سماعه اللحن اذ يقول : ان الرجل ليكلمنى فى الحاجة
يستوجبها فيلحن فأرده عنها وكأنى أقضم حب الرمان
الحامض لبغضى استماع اللحن ، ويكلمنى آخر فى الحاجة
لا يستوجبها ، فيعرب فأجيبه اليها التذاذا لما أسمع من
كلامه ، كما يروى عنه أنه كان يقول : أكاد أضرس اذا سمعت
اللحن (٣٣) •

هذا ولم يقتصر اللحن على أواخر الكلمات بل أصاب
الأصول والبنية الا أن الخطأ فى الأبنية لم يكثر كثرته فى
أواخر الكلمات ، ومن أمثله ما يلى :

١ - روى أن عمر بن الخطاب ، مر برجلين يرميان فقال
أحدهما للآخر : أسبت بالسين بدل الصاد - فقال
عمر : سوء اللحن أشد من سوء الرمى (٣٤) •

(٣٢) انظر عيون الأخبار ١٥٨/٢ والعقد الفريد ٤٧٨/٢ •

(٣٣) انظر الاضداد لابن الأثير ٢٤٥ •

(٣٤) انظر ارشاد الأريب ٧٧/١ وما بعدها •

٢ - سمع أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) رجلا ينشد قول
المرقس الأصغر (٥٠ قه) .

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغي لاثما

فقال أبو عمرو : أقومك أم أتركك تتسكح في طمئك ؟
فقال: بل قومني ، فقال : قل ومن يغو ، ألا ترى الى
قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » (٣٥) .

٣ - روى أن رجلين اختصما الى عمر بن عبد العزيز ، فجعلا
يلحنان ، فقال الحاجب : قما فقد آذيتما أمير المؤمنين ،
فقال عمر: أنت والله أشد ابداء لى منهما .

٤ - أنكر الأصمعي (٢١٦ هـ) قول عدى بن زيد (٣٦ قه)

(ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق)
لأن الصواب موثق اسم مفعول من الفعل أوثق (٣٦) .

فهذه أمثلة قليلة من كثير ، مما جعل الغيورين من العلماء
والخلفاء يتخذون موقفا ايجابيا للحيلولة دون اللحن ،
فيفكرون في وضع ضوابط تكون نبراسا يرجع اليه فكان
نرس النحو .

(٣٥) سورة طه آية ١٢١ .

(٣٦) انظر مقدمة دراسات تطبيقية في النحو لأستاذنا المرحوم
عبد السميع شبانه الطبعة الثانية .

الخطوات الايجابية لوضع النحو

وأول من وضعه

المواقف السابقة من اللحن لم تكن خطوات ايجابية للحد من تياره ، ولم تكن كافية لهداية اللاحنين الى الصواب ، ولم تكن منارة للجرء الى ضوابط ومعايير يسترشدون بها ، لذا كان لابد من عمل ايجابي بوضع قواعد يسترشد الناس بها وقد كان ، فولد النحو ، فبعد أن كان جنينا برز الى الوجود حينما شاء الله له أن يبرز في المكان والزمان المحددين له ، وعلى يد من هداه الله لرسم الخطا وبعض الأسباب الظاهرة لبروزه ، والأجواء والظروف التي أحاطت بنشوئه وهالك موجزا لها •

أول من وضع النحو وأول ما وضع منه :

اختلف العلماء قديما وحديثا - كما هو شأنهم غالبا في كل فن - في أول من وضع النحو وأول ما وضع منه ، ويمكن ايجاز بعض الآراء فيما يلي :

١ - قيل ان أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأنه دفع الى أبي الأسود رقعة كتب فيها : الكلام كله : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى ، وقال له : انح هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ، ثم وضع أبو الأسود باب العطف والنعت ثم باب التعجب والاستفهام الى أن وصل الى باب « ان » ماعدا لكن فلما عرضها على الامام على أمره أن يضم « لكن » اليها وكلمها

وضع بابا من أبواب النحو عرضه على الامام الى أن حصل ما فيه الكفاية فقال : ما أحسن هذا النحو الذى قد نحوت ، وروى أن سبب وضع على للنحو أنه سمع أعرابيا يقرأ : « لا يأكله الا الخاطئين » (٣٧) .

وقد ضعف هذا الرأى (٣٩) وذلك لأن هذه الرواية على فرض صحتها فانها لا تدل الا على أن عليا كان له فضل رسم الخطا لا وضع علم النحو فعلا .

٢ - وقيل أن أول من وضع النحو وأسس قواعده وحدد حدوده أبو الأسود الدؤلى (٦٧ هـ) وكان ذلك بإشارة من زياد ، وذلك أن أبا الأسود الدؤلى جاء الى زياد فقال : انى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها ، أفأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم ؟ فقال له زياد : لا تفعل ، فجاء رجل الى زياد ، فقال : أصلح الله الأمير : توفى أبانا وترك بنونا فقال زياد : ادع لى أبا الأسود ، فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ، ففعل .

وقيل ان أبا الأسود أصر على وضع القواعد حينما قالت له ابنته - فى ليلة كثيرة النجوم أو فى يوم شديد الحر ما أحسن السماء بضم نون أحسن وكسر همزة السماء - أو ما أشد الحر بضم الدال وكسر الراء - فقال نجومها أو القيظ - بضم الميم والظاء - حيث ظن أنها تستفهم ، لأن الضبط يشير الى الاستفهام فتحيرت وظهر لها خطأها فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب ، فقال : لها قولى يا بنية :

(٣٧) الآية رقم ٣٧ من سورة الحاقة وهى قوله تعالى « لا يأكله الا الخاطئون » .

(٣٨) وانظر نزهة الألباء صفحة ٨ .

(٣٩) وانظر مقدمة دراسات تطبيقية فى النحو .

ما أحسن السماء بفتح النون والهمزة أو ما أشد الحر - بفتح الدال والراء - فعمل باب التعجب وباب الفاعل والمفعول به وغيرهن من الأبواب (٤٠) وقد رجح هذا الرأي واستدل له بما يلي :

(أ) روى عن أبي الأسود أنه سئل : من أين لك هذا النحو ؟

فقال : لفقت حدوده من على بن أبي طالب .

(ب) ان رجلا بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين، كان جماعة للكتب وقد آلت إليه خزانة صديق له كان مشتهرا بجمع الخطوط القديمة - وجدت عنده أوراق تدل على هذا ، يقول ابن اسحاق (٤٢٨) فرأيتها وقلبتها شرايت عجايا الا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها، وهي أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ، ترجمتها هذه : فيها كلام في الفاعل والمفعول عن أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوى (٣٣٧ هـ) وتحت هذا خط النضر بن شميل (٤١) وقد حاول بعض المستشرقين أن يربط نشأة النحو العربى بالنحو السريانى واليونانى والهندي ، ولكن هذا الرأي مطروح مبدأ لما ينطوى عليه من زيغ وبهتان (٤٢) .

(٤٠) ورويت هذه القصة بروايات مختلفة وانظر طبقات التحويين واللغويين للزبيدي ص ١٤ ونزهة الألباء ص ٧ ومراثي النحويين ١٨ والأغاني للأصفهاني ١٠/١١ وتهذيب تاريخ دمشق ١١٠/٧ .

(٤١) وانظر الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق صفحة ٦٠ ، ٦١

(٤٢) وانظر في هذا الموضوع المدارس النحوية لشوقي ضيف صفحة ٢٠٠ وما بعدها طبعة دار المعارف .

(م ٢ - الموجز)

(ج) يرى فريق رابع أن النحو قديم قدم خلق الانسان،
اذ أن العرب العاربة كانت عندهم معرفة بمصطلحات النحو
بتوقيف من قبلهم وأن من قبلهم ، تعلموا هذا بتوفيق من الله
سبحانه وتعالى - واستدلوا لذلك بقوله تعالى (وعلم آدم
الأسماء كلها) (٤٣) فتلقف العرب خلفهم عن سلفهم هذا ،
ولذا كانوا يتأملون مواقع الكلام ، فلم يكن كلامهم استرسالا
أو ترخيما بل كان عن خبرة بقانون العربييه ، فالنحو قديم
قدم البشرية .

وممن ذهب الى هذا الرأي أحمد بن فارس (٣٢٩ -
٣٩٦ هـ) كما ذهب اليه أبو على الفاسى فى أحد رأييه
وقد ضعف هذا الرأي (٤٤) .

٥ - ونرى أن النحو كان موجودا قبل أبى الأسود سواء
قليل انه بتوقيف أو كان بالتواضع والاصطلاح - ودليلنا على
هذا ما يلى :

(أ) ما رواه عمر بن الخطاب (رضى الله تعالى عنه)
أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رحم
الله امرأ أصلح من لسانه ، فما هى الطريقة التى يصلح بها
الانسان من لسانه اذا لحن ؟ انها طريقة النظر فيما كان له
قانون .

(ب) قول عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فانها تثبت
العقل وتزيد فى المروءة .

فمن أين وكيف نتعلم العربية وما كان قانونها الآتى
قد وضع .

(٤٣) البقرة آية ٣٩ .

(٤٤) وأنظر الخصائص لابن جنى ٤١/١ .

(ج) أمر على (رضى الله عنه أو عمر أو زياد فى قصة المقرئ الذى أقرأ الأعرابى « أن الله برئ من المشركين ورسوله » بالجر — بأنه لا يقرئ القرآن الا عالم بالعربية .

فمن أين يأتى قانون العربية اذا لم يكن هناك ضابط ، والا فنطق العرب بالعربية بدون ضابط سواء يستوى فى ذلك جميعهم ، ولا يوصف أحدهم فيها يعلم عن غيره .

(د) قصة عبد العزيز بن مروان والأعرابى الذى شكاه اليه ختنه كما تقدم حيث ألزم عبد العزيز نفسه ألا يخرج الى الناس حتى يتعلم من العربية ما يقيم به لسانه فحبس نفسه مع من علمه العربية .

(هـ) اذا نظرنا الى الشكل الذى يقال عنه بأوصافه : ان أبا الأسود الدؤلى — أو نصر بن عاصم أو غيرهما هو أول من ضبط المصحف — أملاه على يحيى بن يعمر أو نصر بن عاصم أو غيرهما — وجدناه يقترب من شكل الحروف العبرية وان اختلفت توجيهات أبى الأسود الى حد ما بالنسبة لضبط المصحف عن ضبط اللغة العبرية حيث اقتصر فى ضبطه على النقطة والنقطتين لفتحة أو فتحتين أو كسرة أو كسرتين أو ضمة أو ضمتين بخلافها فى العبرية ، المعروفة فى ضبط حروفها بكثرة النقاط كما هو معروف . من أجل هذا نرجح أن علماء المسلمين الأوائل نظروا فيما كان مدثورا فاسترشدوا بما أبقت عليه الأيام ونقل على أيدي الناس فجددوه (٤٥) واتخذوه نبراسا لهم ، وكان من بين من لهم

(٤٥) وانظر الصحابى لابن فارس من صفحة ٧ — ١١ والخصائص

المام بهذا أبو الأسود الدؤلى ، فاستجاب لأمر نفسه أو أمر
على بن أبى طالب أو عمر أو زياد على الخلاف السابق فى
ذلك ، وهم كانوا على علم بمعرفة أبى الأسود ببعض
ما مضى ، والا فلماذا اختير أبو الأسود ؟ ألم يكن من الممكن
أن يكون أحد غيره من عامة العرب الفصحاء ؟ أو مجموعة منهم
يجمعون اللغة جمعا ثم بعد ذلك يبحثون فى طريقة التتعيد
كما هو الشأن فى تحصيل العلوم وتأليفها ، والله أعلم
بالحقيقة .

تسميته بعلم النحو

يكاد يكون هناك اتفاق على أن أبا الأسود له المجهود الأكبر في وضع علم النحو لكن لم يكن يعرف في عهده بهذا اللقب بل كان يعرف بعلم العربية لكن ولادة هذه التسمية لم تتجاوز الطبقة الثانية فقد اشتهرت عندها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية (٤٦) وصرح فيها باسم النحو ، لذا كانت تسمية كتب التراجم لهذا العلم في عهد أبي الأسود بعلم النحو تسمية مجازية مبنية على الاتساع فلم تحدث هذه التسمية الا في وقت متأخر عن أبي الأسود لقب بها هذا النوع من علم العربية ، وسمى بهذا ، لما قيل من أن على بن أبي طالب قال لأبي الأسود : انح هذا النحو ، أو ما أحسن النحو الذي نحوت ، وان كنا لا نعرف بالدقة زمن التسمية ولا واضعها .

مكان نشأة النحو :

اتفق العلماء على أن العراق كانت مهدا لنشأة النحو ، وذلك للأسباب الآتية :

١ - كانت موطننا للعجم قبل الفتح ، وبعد الفتح أقبل المسلمون عليها عربا وعجما ، اذ أنها تمتاز بأسباب الحياة الناعمة ورغد العيش .

٢ - كانت أكثر البلاد إصابة بوباء اللحن وتعرضا لمصائبه بسبب هذا المزج .

٣ — العراقيون ذوو عهد قديم بالعلوم والتأليف ولهم فيها خبرة متوارثة .

البصرة أسبق مدن العراق اشتغالا بالنحو :

لا عجب اذا قيل ان مهد نشأة النحو كان في البصرة بين العراق الثلاث بل لقد احتضنت البصرة النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد ، إذ كان أهل الكوفة حينئذ يشتغلون برواية الأشعار والأخبار متفرغين لهذا ، ثم اشترك علماء المصريين البصرة والكوفة في النهوض بالنحو من عهد الخليل بن أحمد شيخ الطبقة الثانية من البصريين وأبى جعفر الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين حتى نمت أصوله وكملت عناصره في مستهل العصر العباسي الأول على يد المبرد خاتم البصريين وثلث خاتم الكوفيين ، ويمكن ايجاز أسباب أسبقية البصرة على غيرها من مدن العراق في الاشتغال بالنحو فيما يلي :

أولا — السياسة :

كانت البصرة عثمانية أموية ، وكانت الكوفة علوية عباسية ، فلقد هبط على — كرم الله وجهه — الكوفة ، واتخذها مقرا لخلافته ، إذ كان أهل الكوفة مطيعين له فدعوه اليهم في الوقت الذي شق فيه أهل البصرة عليه عصا الطاعة .

ثم جاءت السيدة عائشة (٥٨ هـ) رضى الله تعالى عنها — البصرة ، ومعها جيش طلحة (٣٦ هـ) والزبير (٣٦ هـ) مطالبين بئار عثمان (٣٥ هـ) ، وقد كانت موقعة الجمل بين

على وعائشة فكان ماكان ، ومن ثم تمسكت كل من البلديتين
بما تدين له ، فاستمرت البصرة هاشمية عثمانية والكوفة
قرشية علوية ولما كانت مهزلة التحكيم وكان الغانم فيها
الأمويين كان طبيعيا أن يكون الاستقرار والطمأنينة والهدوء
للبصريين أنصارهم في الوقت الذي كانت فيه قلوب
الكوفيين تغلى كالمرجل وتنفس على البصريين ما هم فيه
وتضمر لهم الكراهية والبغضاء ، يقول الأعشى (٨٣ هـ) (٤٧)
على لسان الكوفيين :

فاذا فاخرتمونا فانذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل (٤٨)

لكن كان في رجال الدولة صرامة وقوة على مخالفيهم ،
الا أن هذا لم يدم طويلا فقد تغير الحال وسقطت الدولة
الأموية ، وجاءت الدولة العباسية وكان مبدأ ظهورها في
الكوفة ، اذ تمت البيعة لأبي العباس السفاح (١٣٦ هـ)
أول خلفائها بدعوته لآل البيت ، فناصره الكوفيون ، فحفظ
العباسيون لهم هذا الصنيع فعطفوا عليهم وكافئوهم فانقلب
ذل الكوفيين في عصر الأمويين الى عز في عصر العباسيين ،
وأفل نجم البصرة بعد أن كان ساطعا ، وهكذا قوله تعالى :
« وتلك الأيام نداولها بين الناس » (٤٩) ولئن تقاعست
البصرة في عهد العباسيين فقد فازت بقصب السبق في عهد
الأمويين على غيرها فتمكنت من حمل لواء رئاسة العربية ،
ولاسيما الاعراب .

(٤٧) هو أershى ممدان عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث شاعر
اليمنيين بالكوفة وانظر الأعلام ٨٤/٤ .

(٤٨) وانظر الأغاني ٥٥/٦ .

(٤٩) آل عمران آية ١٤٠ .

ثانيا - الموقع الجغرافي :

تقع البصرة على طرف البادية مما يلي العراق فهي أقرب مدن العراق الى العرب الأفحاح الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأمصار ، فعلى مقربة منها بوادي نجد غربا والبحرين جنوبا ، والأعراب يفدون اليها منهما ومن داخل البصرة وليست كذلك الكوفة وبغداد ، فمكن هذا أهل البصرة من أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا مشاق السفر .

ثالثا - قرب سوق الربد من البصرة :

اذ كانت تنعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة ، ويفد اليها الشعراء ورواتهم فهي تشبه سوق عكاظ في الجاهلية ينزل فيها العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار ، واللغويون يأخذون عن أهلها ويدونون مايسمعون فيأخذ منهم النحويون مايصح قواعدهم ولم تكن كذلك سوق الكناسة بالكوفة ، اذ أن ساكنيها من الأعراب أقل عددا وفصاحة ممن كان بالبصرة وان كان منهم لفيف من بنى أسد وغيرهم الا أن أغلبهم يمانيون ، وأهل اليمن قد فسدت لغتهم لجاورتهم الحبسة والهند ومخالطتهم التجار الذين يفدون اليهم من مختلف الأمصار (٥٠) .

فهذا هو موجز الأسباب التي أدت الى أسبقية البصرة في الاشتغال بالنحو .

(٥٠) وانظر نشأة النحو صفحة ١٠٥ والأغاني ٢٩/٨ في أخبار جرير ١ .

منشأ الخلاف بين البصريين والكوفيين :

أدت العوامل والظروف السابقة الى اختلاف منهج كل من الفريقين عن الآخر فنشأ الخلاف بينهما فى المسائل والعوامل والاصطلاحات ، ويمكن تلخيص منشأ الخلاف فيما يلى :

أولا : المادة العلمية : اعتمد البصريون فى مادة منهجهم العلمى على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان ، ولذلك اختاروا من بين القبائل التى اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراققتها فى العربية والمصونة فطرتهم من طائفة الحضارة الأجنبية ، فاختاروا من العرب فيساً وتميماً وأسداً ، فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء فى اللغة والاعراب والتصريف ، ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن حضري ولا من سكان البرارى ممن كان يجاور الأمم الأخرى ، ومن هنا رفضوا الأخذ من لخم وجذام لجاورتهم أهل مصر ولم يأخذوا من قضاة ولا من غسان ولا من اياد لجاورتهم أهل الشام ، ولا من الزمر لجاورتهم اليونان ، ولا من بكر لجاورتهم الخبط والفرس ، ولا من عبد قيس ولا أزد عمان لمخالطتهم الهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بنى حذيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف ، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، بل رفضوا الأخذ من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدعوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ففسدت ألسنتهم (٥١)

أما الكوفيون فقد قبلوا كل مسموع ، فأخذوا عن أهل
الحضر ممن جاور المتحضرين من الأعراب ، فلم يببالغوا في
التحرى والتنقيب حتى قيل :

انهم أفسدوا النحو بأخذهم عن فسدت لغتهم ، وفي
هذا يقول الرياشي (٢٥٧ هـ) البصري : نحن نأخذ اللغة
عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء - يعني أهل
الكوفة - أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ
وأكلة الشواريز (٥٢) .

ويقول أبو زيد (٢١٥ هـ) عن الكسائي (١٨٩ هـ) زعيم
الكوفيين :

ثم سار الى بغداد فلقى أعراب الحليمات (٥٣) فأخذ
عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك ماكان أخذه
بالبصرة .

ثانيا : اختيار سلامة لغة المأخوذ عنه : كان البصريون
يختبرون سلامة لغة من يشكون في أمره ممن سبق من
القبائل الفصيحة ، ويروي ابن جنى في ذلك فيقول : ومن
ذلك ما يحكى أن أبا عمر وابن العلاء استضعف فصاحة أعرابي
يسمى : أبا خيرة لما سأله فقال :

كيف تقول : استأصل الله عرقاتهم ؟ ففتح أبو خيرة
التاء فقال له أبو عمرو : هيهات يا أبا خيرة لان جلدك (٥٤) ،
وما كان الكوفيون كذلك .

(٥٢) حرشة : جمع حارش : صائد الكلب ، والكواميخ جمع
كامخ : نوع من الانعام ، والشواريز : جمع شيراز : اللبن الثخين .
(٥٣) قوم من زعانف العرب الذين اختلف لسانهم .
(٥٤) الخصائص ٤١٣/١ .

ثالثا : التأكد من الثقات فى صحة المروى : كان البصريون يتحرون عن الرواة فلا يأخذون الا برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفدسحاء عن طريق الحفظه والأثبات الذين بذلوا الجهد فى نقل المرويات عن قائلها منسوبة اليهم ، أما الكوفيون فقد تساهلوا فى التثبت من صحة المسموع وأمانة راويه وسلامة قائله ، فأخذوا عن حماد الراوية (١٥٥ هـ) وخلف الأحمر (١٨٠ هـ) وكلاهما متهم فى روايته يصنع الشعر وينسبه الى غيره من الأتباع (٥٥) .

رابعا : كمية المقيس عليه المنقول عن العرب : اشترط البصريون فيما ينقل عن العرب الكثرة الكاثرة فيقعدون على الأكثر والا فعلى الكثير والا فعلى القليل والا فعلى الأقل والا فعلى النادر ، والا قاسوا الأسباب على الأسباب والنظائر على النظائر اذا لم يتناقض مع الوارد ، ولذا اعتبر سيبويه قياس فعولة بفعيلة فى النسب اليها بحذف حرف المد وقلب الضمة فتحة وان لم يرد منها الا شئنى فى النسب الى شئوه ، لأنه لم يرد ما يخالفها (٥٦) فاذا ما خالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا أو نادرا يحفظ ولا يقاس عليه وقد ينكرونه أو يقولون أنه ضرورة ، أما الكوفيون فلم يشترطوا للقياس كثرة كاثرة بل قاسوا على الشاهد الواحد ولو جاء مخالفا للكثرة الكاثرة المتفق على القياس عليها فما أوله البصريون أو اعتبروه شاذا أو ضرورة قبله الكوفيون وجعلوه مقيسا عليه ، يقول الأندلسى (٦٦١ هـ) (٥٧) فى منهج الكوفيين هذا :

(٥٥) وانظر نشأة النحو للمرحوم الشيخ محمد طنطاوى صفحة ١٠٨ .
(٥٦) وانظر الأشمونى ١٨٦/٤ والعبور الى همزة الوصل والقطع لـ محمد الشاظر صفحة ٦٦ .
(٥٧) هو القاسم بن احمد بن الموفق بن جعفر الأندلسى ابو محمد الدورقى النحوى وانظر البقية ٣٧٥ .

الكوفيون لو سمعوا بيتنا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصل جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين بل كثيرا ما ناطوا القاعدة بالقياس بدون رجوع الى مطلق شاهد أى على القاعدة نفسها ، ولذلك كثرة الأقيسة والقواعد عند الكوفيين ، واشتهر البصريون بأنهم أهل سماع أما الكوفيون فقد اشتهروا أنهم أهل قياس ، يقول الكسائي رئيس مدرسة الكوفة •

انما النحو قياس يتبع وبه فى كل أمر ينتفع

وليس معنى هذا أن البصريين لم يلجئوا الى القياس وأن الكوفيين لم يلجئوا الى السماع ، ولكن لما تحفظ البصرى وتشدد فى أقيسته تبعها للمسموع المعتمد عنده المقتن بضوابط وشروط سمى أهل سماع • ولما توسع الكوفى فى القياس والمقيس عليه سمى أهل قياس حيث فتح ذراعيه لكل مسموع ، ولذا قل الشاذ عند الكوفيين وكثير عند البصريين •

موقف البصريين مما خالف قواعدهم من الشعر :

بلغ من تقديس البصريين لقواعدهم أن خطئوا كثيرا من الشعراء ، وقد ظهر هذا فى عهد الطبقة الثانية على يد عبد الله بن أبى اسحاق (١١٧ هـ) وتلميذه عيسى بن عمر (١٤٩ هـ) بل بلغ الحد الى أن خطئوا العربى الفصيح فى مثل قول النابغة (١٨ ق هـ) :

فبت كأتى ساورتنى ضئيلة
من الرقش نى أنيابها السم ناقع (٥٨)

حيث قال عيسى بن عمر أساء النابغة إنما هو ناقعا •

بل هذا أبو عمرو بن العلاء الذى يقال عنه انه كان يتحرز
عن تخطئة العربى يخطئ ذا الرمة (١١٧ هـ) فى قوله :

حراجيج ماتتفك الا مناخة
على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا

وذلك لأنهم قالوا : ان أفعال الاستمرار بمعنى الايجاب
فلا يصح الاستثناء من خبرها (٥٩) •

وقد ضاق الشعراء بهذا المنهج فهجوا النحاة ، يقول
الكلبى (٦٠) (١٣٠ هـ) عن النحاة حينما عيب عليه بيت
من شعره :

ماذا لقيت من المستعربين ومن
قياس نحوهم هذا الذى ابتدعوا

على أن تخطئة الأقحاح فيما خالف قواعد البصريين لم
تكن من كل علماء البصرة بل من بعضهم كعيسى بن عمر ،
وشيوخه عبد الله بن اسحاق من متقدمى البصريين دون
غيرهما - غالبا - من معاصريهما •

فهذا هو يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) وشيخه أبو عمرو
كانا يتحرزان عن تخطئة العربى ويعتمدان قوله ويعتبران
شاذا فى القياس فصيحاً فى الاستعمال ، لكن البصريين
المتأخرين بعد سيبويه اتخذوا موقف عيسى بن عمر وأبى

(٥٩) الخزائن شاهد ٧٣٦ مبحث الا •

(٦٠) هو عطية بن الأسود الكلبي •

اسحاق لهم منهجا في الوقت الذي اتخذ الكوفيون فيه موقف يونس وأبي عمرو لهم مذهباً .

أمثلة توضح لنا مظهر الخلاف بين المذهبين : الكوفي والبصري :

١ - اشترط البصريون لعمل الوصف الاعتماد على نفى أو استفهام لفظاً أو تقديرًا ، ولما جاء على خلاف هذا قول حاتم الطائي (٤٦ ق هـ) :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا
مقالة لهبي اذا الطير مرت

أولوه بأن خبير خبر مقدم ، وهو وصف يستوى فيه الأفراد وعدمه وجعلوا (بنو لهب) مبتدأ مؤخرًا ، لا فاعلاً ، فهو على حد قوله تعالى :

« والملائكة بعد ذلك ظهير » (٦١) .

أما الكوفيون فلم يشترطوا هذا ، ولذا صح عندهم فاعلية (بنو لهب) بالوصف (خبير) مع كونه غير معتمد (٦٢) .

٢ - أوجب البصريون تنكير الفعل مع جمع المذكر السالم ، وتأنيثه مع جمع المؤنث السالم ، وجوز الكوفيون التنكير والتأنيث ، ولما جاء قوله تعالى « آمنت به بنو إسرائيل » (٦٣) على خلاف ما قال البصريون ، وكذا قول عبدة بن الطبيب (٢٥ هـ) :

(٦١) الطلاق آية ٤ .

(٦٢) شرح الكافية - ٨٧ / مطبعة بيروت .

(٦٣) يونس آية ٩٠ .

فبكى بناتى شجوهن وزوجتى
والظاعنون الى ثم تصدعوا

لجأ البصريون الى التأويل فقالوا : ان الجمعين لم يسلم
فيهما بناء الواحد فأشبهها جمع التكسير ولما أجاز الكوفيون
هذا لم يحتاجوا الى التأويل (٦٤) .

٣ - منع البصريون نيابة الظرف والجار والمجرور مع
وجود المفعول ، ولما جاء فى القرآن الكريم وفى الشعر ذلك
أولوه ، قال تعالى : « ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » (٦٥) .
وقال جرير :

ولو ولدت قفيزة جرو كلب
لسب بذلك الجرو الكلابا (٦٦)

اذ قال البصريون : ان النائب فى الآية ضمير الجزاء
والبيت ضرورة ، أما الكوفيون فلم يؤولوا ذلك لقبولهم
اياء (٦٧) .

٤ - اشترط البصريون فى التمييز وجوب التنكير ،
ولما جاء قول رشيد ابن شهاب اليشكرى :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا
صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

(٦٤) شرح الكافية ١٧٠/٢ .

(٦٥) الجاثية آية ١٤ .

(٦٦) قفيزة أم جد القزوق وانظر الخزانة شاهد رقم ٥١ .

(٦٧) شرح الكافية ٨٥/١ .

قالوا : انه ضرورة ، أما الكوفيون فقد قبلوه لتجويزهم
مجيء التمييز معرفة (٦٨) .

٥ — اشترط البصريون في المؤكد أن يكون معرفة ، ولما
ورد تأكيد النكرة في قول عبد الله بن مسلم بن جندب
الهدلي :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب
يا ليت عدة حول كله رجب

أنكروا هذه الرواية وقالوا : ان الرواية الصحيحة :
حولى ، وعلى فرض صحة هذه الرواية فالببيت ضرورة .

أما الكوفيون فقد قبلوه ، لأنهم جوزوا تأكيد النكرة
إذا كانت محددة كما هي هنا (٦٩) .

٦ — منع البصريون اظهار (أن) بعد (كى) ولما اعترض
عليهم بقول الشاعر :

أردت لكىما أن تطير بقربتى
فتتركها شئنا ببيداء بلقع

قالوا : ان قائله غير معروف أو ضرورة ، أما الكوفيون
فقد قبلوه (٧٠) .

٧ — منع البصريون عمل « أن » محذوفة ، ولما ورد
خلاف ماقرروا ، واعترض عليهم به في مثل قول العرب : خذ

(٦٨) شرح الكافية ٢٢٢/١ .

(٦٩) شرح الكافية ٢٣٥/١ .

(٧٠) شرح الكافية ٢٢٩/٢ .

اللص قبل يأخذك ، وتسمع بالمعبدى خير من أن تراه ، وغير ذلك من الأمثلة ، قالوا : ان هذا شأن يحفظ ولا يقاس عليه ، أما الكوفيون فيجوزون ذلك ، يقول الرضى : وقد تنصب مضمرة شذوذا ، والكوفيون يجوزون النصب فى مثله قياسا (٧١) .

٨ - قال البصريون : لا يجوز الفصل بين المتضايفين ، ولما جاء على خلاف ما قالوا قوله تعالى : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » (٧٢) ببناء الفعل للمجهول ورفع قتل ونصب أولادهم وجر شركائهم شذوذا هذه القراءة مع أنها سبعية ، ومثلها تماما قوله تعالى :

« فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » (٧٣) فى قراءة نصب « وعده » وجر « رسله » لاضافة « مخلف » اليها ، أما الكوفيون فقد أجازوا هذا ، لأن القراءة بها وردت (٧٤) .

٩ - قال البصريون لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار ولما وردت قراءة سبعية لابن عامر قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تسالون به والأرحام » (٧٥) بجر الميم ضعفوها .

١٠ - جوز الكوفيون مجيء العدد من خمسة الى تسعة على فعال ومفعل ممنوعا من الصرف للوصفية والعدل مع أنه

-
- (٧١) شرح الكافية ٢٥١/٢ .
 - (٧٢) الأنعام آية ١٣٧ .
 - (٧٣) ابراهيم آية ٤٧ .
 - (٧٤) شرح الكافية ٢٩٢/١ .
 - (٧٥) النساء آية ١ .

لم يرد عن العرب على ذلك الا من واحد الى أربعة ، ولكنهم قاسوا الباقي وتبعهم على هذا المبرد خاتم البصريين ، أما جل البصريين فقد منعوا ذلك لعدم السماع ، يقول الرضى : والمبرد والكوفيون يقيسون عليها الى تسعة نحو خماس ومخمس وسداس ومسدس ، والسماع مفقود (٧٦) .

١١ - جوز الكوفيون تثنية أجمع وجمعاء وتوابعهما قياسا على جمعهما وتبعهم فى هذا الأخفش ، ولم يجز معظم البصريين ذلك لفقدان السماع ، يقول الرضى : وقد أجاز الكوفيون والأخفش لثنى المذكر أجمعان ، أكتعان ، أبصعان ، أبتعان ، ولثنى المؤنث جمعان ، كتعاوان ، بصعاوان ، بتعاوان ، وهو غير مسموع (٧٧) .

١٢ - أجاز الكوفيون الجزم بكيف ولو لم تتصل بها (ما) ، ومنعه البصريون لعدم السماع قياسا ، ولا يجوز البصريون الا شذوذا (٧٨) .

١٣ - يجوز الكوفيون عطف المفرد بـ « لكن » بعد الإيجاب قياسا على بل ويمنع ذلك البصريون ، لأنه غير مسموع : يقول الرضى : أجاز الكوفيون مجيء « لكن » عاطفة للمفرد بعد الموجب أيضا نحو : جاء زيد لكن عمرو حملا على بل وليس لهم به شاهد (٧٩) .

(١٤) أجاز الكوفيون اضافة كذا الى مفرد أو جمع قياسا على العدد الصريح ولم يجز البصريون هذا لعدم

(٧٦) شرح الكافية ٤١/١ .

(٧٧) شرح الكافية ٤/١ .

(٧٨) شرح الكافية ٢٣٤/١ .

(٧٩) شرح الكافية ١١٧/٢ .

السماع ، يقول ابن هشام — فى سياق منع البصريين هذا :
خلافًا للكوفيين أجازوا فى غير تكرار ولا عطف أن يقال :
كذا ثوب وكذا أثواب قياسًا على العدد الصريح (٨٠) .

١٥ — والاسم الذى فيه التاء كطلحة لا يجمع جمع
مذكر سالمًا عند البصريين وقد أجاز الكوفيون جمعه .

١٦ — لم يقف الخلاف عند القواعد بل شمل المدلولات
العلمية والعوامل العلية والتوجيهات ، فما يسميه البصرى
مجرى وغير مجرى عند الكوفى ، وواو المعية عند البصرى
ظرفًا يسميه الكوفى صفة ، أو محلا ، وما يسميه البصرى
حرف جر يسميه الكوفى حرف اضافة والجر عند البصرى
خفض عند الكوفى ، والمصروف وغير المصروف عند البصرى
واو الصرف عند الكوفى ، وضمير الشأن عند البصرى
ضمير مجهول عند الكوفى ونحر ظمآن ونشوان وعثمان
ممنوع من الصرف لزيادة الألف والنون عند الكوفى وللشبه
بألف التانيث الممدودة فى مثل حمراء وخضراء عند البصرى .

والاسم مشتق من السمو عند البصرى ، ومن الوسم
عند الكوفى ، والفعل مشتق من المصدر عند البصريين ،
والمصدر مشتق من الفعل عند الكوفيين !

وهكذا والأمثلة على ذلك كثيرة من أراد الجولان فيها
فليرجع الى كتاب الانصاف لكمال الدين بن الأنبارى
(٥٧٧ هـ) « وبعد » .

فهذه هى الظاهرة العامة لمنهج كل من الفريقين وظواهر
الخلاف بينهما وإن خولفت هذه الظاهرة أحيانًا فهذا بصرى

(٨٠) انظر حاشية السنوقى على معنى البيب ١/ ١٩٩ .

يقول بمذهب الكوفى وهذا كوفى يتمسك بقول البصرى ،
فالأخفش وهو بصرى نراه عول كثيرا على مسائل الكوفيين
كما كان كذلك أبو زيد الأنصارى ، وابن جنى كثيرا ما رجح
فى محتسبه مذهب الكوفيين اذا رأى الحق معهم وفى
أيديهم ، والكسائى يخالف فى بعض آرائه الكوفيين
ويوافق البصريين والأمثلة على ذلك كثيرة مبنوثة فى كتب
التفسير والتراجم والمؤلفات النحوية .

الأدوار التى مرت بها نشأة النحو :

لقد شاء الله للبصرة أن تنفرد برعاية صرح النحو زهاء
قرن من الزمان قبل أن تشترك معها الكوفة ، إذ كان علماء
الكوفة مشغولين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى -
بقراءات القرآن ورواية الشعر والأخبار ، وقلما نظروا فى
قواعد النحو الا قليلا من أساتذتها ممن تتلمذوا على نحا
البصرة !

يقول ابن سلام (٢٣٢ هـ) (٨١) : وكان لأهل البصرة
فى العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية (٨٢)

ويقول ابن النديم (٤٣٨ هـ) : انما قدمنا أهل البصرة
أولا ، لأن علم العربية عنهم أخذ (٨٣) ومهما قيل فان
أهل الكوفة لم يفتهم الاشتراك فى هذا العمل الضخم ،
اذا اتخذوا البصرة متعلمذا لهم حتى يسر الله لهم من ثماره
النصيب الأوفى ، فاشترك علماؤها مع علماء البصرة فى

(٨١) هو محمد بن سلام الجمحى .

(٨٢) طبقات ابن سلام صفحة ١٢ .

(٨٣) الفهرست لابن النديم صفحة ٩٦ .

النهوض به من عهد الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) شيخ الطبقة الثالثة من البصريين وأبى جعفر الرؤاسي (١٨٥ هـ) شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين ، وعندئذ طفق علماء المصريين يتنافسون طبقة طبقة في الظفر بقصب السبق في هذا الميدان حتى نمت أصوله واكتملت لبناته وعناصره ، وما استهل العصر العباسي الأول الا وهو يدرس دراسة واسعة النطاق فسيحة الميادين في البصرة والكوفة ، ولم ينقص هذا العصر الا وقد كمل وأوفى على الغاية في بغداد قبل تمام القرن الثالث الهجري ، ومن هنا نشأ المذهب البغدادي ، وكانت غايته في غالب الأمر الترجيح بين المذهبين البصري والكوفي ، وإن كانت له بعض الآراء التي انفرد بها كما سيأتي ، ثم انتشر نور هذا العلم وشع في أرجاء الحواضر الاسلامية في الأندلس والشام ومصر ، وكان في كل منها علماء بارعون مؤلفون في هذا العلم لم يتطرقوا -غالبا- أو يبتعدوا عن أصول السابقين وفروعهم الا نادرا .

وأيا كان فلقد درج مؤلفو الطبقات الى تقسيم الأبوار التي مر بها النحو الى أربعة أدوار كما قسموا كل دور الى طبقات ، فكان للدور الأول طبقتان انفردت بهما البصرة ، وللثاني ثلاث طبقات اشتركت الكوفة مع البصرة فيهن ، وللثالث طبقتان مشتركتان أيضا ثم نحا نحا بغداد منحا الترجيح .

ومن هنا نعرف أن للبصرة سبع طبقات والكوفة خمساً ، وأنه يقابل الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من البصريين الطبقة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة ، على الترتيب من الكوفيين : وهالك الحديث عن كل دور وطبقاته وبعض علمائه المشهورين ، وذلك بعد حديث موجز عن أبى الأسود الدؤلي .

أبو الأسود الدؤلى

تتحدث كتب الطبقات عن أدوار نشأة النحو وطبقاته
جاعلة أبا الأسود رأسا لهذه الطبقات فلا تدخله فيها وان
ترجموا له ، لذا نسلك السبيل الذى سلكوا وننهل مما
نهلوا فنقول :

أبو الأسود الدؤلى (٦٧ هـ) هو ظالم بن عمرو بن سفيان
ابن جندل بن يعمر بن حليس بن نفاعة بن عدى بن الديلم
ابن بكر بن كنانة (١) كان حليما حازما وشاعرا متقنا
للمعاني وهو القائل :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه
وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند صاحب
فحق له من طاعة بنصيب

ومن شعره أيضا :

وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء

تجىء بملئها طورا وطورا
تجىء بحمأة وقليل ماء

(١) وقع فى اسمه ونسبه خلاف كثير وانظر البغية ٢٧٤ .

وقد روى عن عمر (٢٣ هـ) وعلى (٤٠ هـ) وابن عباس (٦٨ هـ) وأبى ذر (٣٢ هـ) وغيرهم ، وروى عنه يحيى بن يعمر ، وصاحب على بن أبى طالب وشهد معه جيفين ثم قدم على معاوية (٦٠ هـ) فأكرمه وأعظم جائزته ، وولى قضاء البصرة .

وقد تزوج من بنى قشير فى البصرة ، ولكنهم كانوا يرمونه بالليل لشدة محبته لعلى - رضى الله تعالى عنه - وأهل بيته ، فإذا أصبح الصباح ، وذكر رجمهم أياهم ، قالوا ان الله يركمك ! فيقول لهم : تكذبون ، ولو رجمنى الله أصابنى ، ولكنكم ترجمون غلا تصيبون وفى ذلك يقول :

يقول الأرنؤون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا ؟

فقلت لهم فكيف يكون تركى
من الأعمال ما يحصى عليا

أحب محمدا حبا شديدا
وعباسا وحمزة والوصيا

بنو عم النبى وأقربوه
أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه
وفيهم أسوة ان كان غيا

فكم رشدا. أصبت وجزت مجدا
تقنناصر سؤله نجم الثريا ..

وتكاد الآراء - كما سبق - تجمع على أن له النصيب الأول في وضع النحو ، ويكفيه شرفا خالدا أنه أول من نقط المصحف وهو معدود في التابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحاة والحاضري الجواب ، والشيعة ، والبخلاء والصلح الأشراف والبخر الأشراف وتوفي رحمه الله سنة (٦٧ هـ) في الطاعون الجارف (١) .

(١) وانظر نزهة الألباء لكمال الدين بن الأنباري ٦ وطبقات النجويين لزبيدي ١٢ والمؤتلف والمختلف للأعدي ٢٨٠ .

الدور الأول : دور الوضع والتكوين

يؤرخ العلماء لهذا الدور — بعد أبي الأسود بن نصر بن عاصم الليثي (٨٩ هـ) الى عهد الخليل بن أحمد الفرهودي (١٧٥ هـ) وهذا الدور بصرى خالص وبرز فيها طبقتان من علماء البصرة وهاكهما :

الطبقة الأولى

تبدأ من عهد نصر بن عاصم (٨٩ هـ) الى يحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) وأشهر علمائها :

١ — نصر بن عاصم الليثي (٨٩ هـ) كان فقيها عالما بالعربية فصيحاً ، ويعدهم نقدماء التابعين ، أخذ القرآن والنحو عن أبي الأسود ، ولذا كان يسند اليه ، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء ، وكان يرى رأى الخوارج ثم ترك ذلك ، توفي سنة (٨٩ هـ) (١) .

٢ — غنبة الفيل (بعيد ١٠٠ هـ) (٢) بن معدان مولى مهرة بن حيدان أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، وكان من أبرع الآخذين عنه ويذكرون في سبب تلقيبه بالفيل أن عبد الله بن عامر (٥٩ هـ) كان له فيل بالبصرة ، وقد استكثر النفقة عليه ، فأتاه معدان أبو غنبة فقال : ادفعه الى وأكفيك المؤتة ، وأعطيك عشرة دراهم كل يوم فدفعه اليه

(١) البغية ٤٠٢ وانباء الرواء ٢٤٢/٣ ونزهة الألباء ١٥ .

(٢) لم أعثر على وفاته فيما وقع بين يدي من مراجع .

وأوفى بما قال ، بل انه كان يربح من ورائه ربها استطاع
أن يبني به قصرا فلذا لقب أبوه بهذا اللقب ثم انسحب
عليه هو (٣) .

وقد كان عنبسة من رواة الشعر ، ويحكى أنه روى
لجريس (١١٠ هـ) شعرا فضله فيه على الفرزدق (١١٠ هـ)
وبلغ الفرزدق ذلك فقال يهجو :

لقد كان في معدان والفيل زاجر
لعنبة الراوى على القصائد

ويروى أن بعض عمال البصرة سأل عنبسة عن هذا
البيت ، وعن الفيل ، فقال عنبسة : لم يقل (الفيل) وانما
قال (اللؤم) فقال لعنبة : ان أمر تفر منه الى اللؤم لأمر
عظيم !

هذا وقد ذكره الزبيدي في الطبقة الثانية من نحاة
البصرة كما ذكر نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر كذلك من
نحاة الطبقة الثانية .

٣ - عبد الرحمن بن هرمز (١١٧ هـ) مدني تابع أخذ
القراءة عن عبد الله بن عباس (٦٨ هـ) وأبى هريرة (٥٩ هـ)
وأخذ عنه نافع بن نعيم (١٦٩ هـ) وقد قيل انه أول من
وضع العربية ، والسبب في هذا القول أنه أخذ عن أبى
الأسود الدؤلى وأظهر هذا العلم بالمدينة فكان أول من أظهره
بها وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش ، وما أخذ
أهل المدينة النحو الا منه ، ولا نقلوه الا عنه ، وروى أن مالك
ابن أنس (١٧٩ هـ) أمام دار الهجرة - رضى الله عنه -
اختلف الى عبد الرحمن بن هرمز في هذا العلم (٤) .

(٣) رويت القصة بروايات أخرى .

(٤) وانظر انباه الرواة ١٧٣/٢ .

٤ - يحيى بن يعمر العدواني (١٢٩ هـ) ويكنى أبا سليمان ، وهو رجل من بنى عدوان بن قيس بن عيلان من مضر ، كان عالماً بالعربية والحديث ، ولقى عبد الله بن عباس ، وغيره من الصحابة ، وهو من التابعين من القراء من أهل البصرة .

وقد تقدمت قصته مع الحجاج حيث نبهه على خطئه في سورة التوبة حيث كان يرفع « أحب » (٥) مع أنه خبر كان ، ويروى أن الحجاج قال له : طول لحيتك أرفعك - وكان طويل اللحية - فقال له رجل ممن حضر بالمجلس من منافقي الولاة ممن يتقربون اليهم أيها الأمير : حدثني كعب الأخبار (٣٢ هـ) انه مكتوب في بعض الكتب ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن تفرط لحيته في طولها يخف دماغه ، ومن خف دماغه قل عقله ، ومن قل عقله كان أحمق ، والأحمق لا يسمع عنه ، فقال الحجاج ليحيى : لا تساكني ببلد أنا فيه ونفاه الى خراسان وبها يزيد بن المهلب (١٠٢ هـ) فكان عنده .

وروى أن يزيد هذا ولي يحيى القضاء بخراسان ، فقال له يوما : هل تشرب النبيذ فقال : ما أتركه في صباحي ومساءلي ، فقال له : أنت ونبيذك ، وعزله عن القضاء (٦) .

منهج هذه الطبقة واثرها :

كان منهج هذه الطبقة مبسطا ، اذ وضع أبو الأسود القواعد العامة في الأبواب التي سبقت الإشارة اليها مقصورة على السماع ، ولم تصلنا عن هذه الطبقة كتب

(٥) التوبة آية ٢٤ .

(٦) نزهة الألباء صفحة ١٦ وطبقات النحويين والغويين ٢٢ والبلغية ٤١٧ .

منظمة يمكن الاعتماد عليها ، وقد قام فيها نصر بن عاصم
— فى عهد عبد الملك بن مروان — بأعجام المصحف بالنقط
المعروفة الآن بعد أن أصلح من النقط التى وضعها أبو الأسود
لتبدل على جهة الصوت ، وذلك بتحويلها الى الحركات
المعروفة فحلت نقط نصر بن عاصم محل نقط أبى الأسود
وتحولت نقط أبى الأسود الى ضمة أو ضمتين أو فتحة أو
محتتين أو كسرة أو كسرتين الى الآن وحتى يرث الله الأرض
ومن عليها .

الطبقة الثانية من الدور الأول

تبدأ هذه الطبقة من عهد عبد الله بن أبى اسحاق (١١٧ هـ)
الى عهد أبى عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) وهناك أشهر من
اخترنا من علمائها :

١ — عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمي (١١٧ هـ) هو
أبو بحر عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمي امام فى القراءة
والعربية كان شديد التجريد للقياس من أبى عمرو ، وكان
أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، يروى
أن بلال بن أبى بردة (١٢٦ هـ) بن أبى موسى الأشعري جمع
بينهما . قال أبو عمرو : فغلبنى ابن أبى اسحاق يومئذ بالهمز
فنظرت فيه بعد ذلك ، ويقال : ان ابن اسحاق أول من علل
النحو وسئل يونس بن حبيب عن ابن أبى اسحاق فقال : هو
والنحو سواء أى هو الغاية فيه .

وروى عن يونس أنه قال : كان أبو عمرو أشد تسليما
للعرب ، وكان عبد الله بن أبى اسحاق وعيسى بن عمر يطعنان
على العرب .

وكان موالى بن أبى اسحاق مواليا ، وهم حلفاء بنى عبد
شمس بن عبد مناف وكان ابن أبى اسحاق يرد كثيرا على
الفرزدق ويتكلم فى شعره ، اذ شابه فى قوله •

ومر زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال الا مسحتا أو مجلف

اذ قال للفرزدق : بم رفعت أو مجلف ؟ فقال : له بما يسؤك
وينوءك ، علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا ، ثم قال هاجيا
عبد الله :

ولو كان عبد الله مولى هجوته
ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له ابن أبى اسحاق : ولقد لحنت أيضا فى قولك
« مولى مواليا » وكان ينبغى أن تقول : مولى موال •

هذا وقد قرأ ابن أبى اسحاق على يحيى بن يعمر ، كما
قرأ هو وأبو عمرو بن العلاء على نصر بن عاصم وكانا رفيقين
وكان هو وأبو عمرو وعيسى بن عمر فى وقت واحد ، وتوفى
قبلهما بالبصرة سنة (١١٧ هـ) أيام هشام بن عبد الملك (٧) •

٢ — عيسى بن عمر (١٤٩ هـ) هو مولى خالد بن الوليد
المخزومى ، نزل فى ثقيف وهو معدود من قراء البصرة
ونحاتها ، أخذ عن ابن أبى اسحاق هو وابن عمرو بن العلاء ،
وعنه أخذ الخليل بن احمد ، وله فى النحو أكثر من سبعين
مؤلفا •

وكان عيسى بن عمر صاحب تقعير في كلامه باستعمال الغريب فيه وفي قراءته وكان يطعن على العرب فقد طعن على النابغة قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع (٨)

اذ قال أساء النابغة ، ووجهها أن يكون السم ناقعا ، وكان عيسى ينزع الى النصب ما وجد لذلك سبيلا ، فكان يقرأ « أظهر » بالنصب فى قوله تعالى : « هؤلاء بناتى هن أظهر لكم » (٩) وهو مخالف لما عليه جميع النحويين * وقد أنكرها أبو عمرو بن العلاء عليه قائل له : كيف تقول : هؤلاء بنى : هم ماذا ؟ قال : عشرين رجلا — فأنكرها عليه *

وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن « يا جبال أوبى معه والطير » (١٠) بفتح الراء — ، ولكنهما يختلفان فى التاويل ، فكان عيسى يقول : على النداء كما تقول : يا زيد والحارث لما لم يمكنه : يا الحارث ، وقال أبو عمرو : لو كان على النداء لكان رفعا ، ولكنه على اضمار : وسخرنا الطير لقوله على أثر هذا : « ولسليمان الريح » *

٣ — أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازنى النحوى القارىء أحد القراء السبعة المشهورين اختلف فى اسمه على واحد وعشرين

(٨) كان عيسى يختار السم والشهد بضم القاء ويقول علوية بضم الأولى نسبة الى العالية على غير قياس والعوالى أماكن بالمدينة *

(٩) هود آية ٧٨ والنصب على الحال لأنه عماد والنظر القرطبي ٧٦/٩ *

(١٠) سبأ آية ١٠ *

قولا أصحابها « زبان » والدليل على ذلك ما روى أن الفرزدق جاء معذرا من أجل هجو بلغه عنه فقال له أبو عمرو :

هجرت زبان ثم جئت معذرا
من هجر زبان لم تهجو ولم تدع

وقد أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وقرأ القرآن على سعيد بن جبير (٩٥ هـ) ومجاهد (١٠٤ هـ) وروى عن أنس بن مالك (٩٣ هـ) وأبي صالح السمان (١٠١ هـ) (١١) وأخذ عنه يونس بن حبيب والخليل بن أحمد واليزيدي وغيرهم .

روى عنه أنه قال : مارأيت أحدا قط أعلم مني ، وقد مضى أنه كان أكثر تسليما للعرب .

وكانت دفاتره ملء بيته الى السقف ، فلما تنسك أحرقها . وكان نقش خاتمه :

وان امرأ دنياه أكبر همه
لستمسك منها بحبل غرور

قال سفيان بن عيينه (١٩٨ هـ) رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراءات بقراءة من تأمرني ؟

فقال بقراءة أبي عمرو بن العلاء ، توفي رحمه الله سنة (١٥٤ هـ) في خلافة المنصور (١٢) .

(١١) هو ذاكون بن أبي صالح السمان وانظر تهذيب التهذيب ٢١٨/٢
(١٢) نزهة الألباء ٢٤ طبقات النحويين ٢٨ .

منهج هذه الطبقة وأثرها :

- ١ — نهجت هذه الطبقة منهج الاستنباط واستعمال القياس فوضعت كثيرا من أصول النحو ومسائله .
- ٢ — لكن اقتصرت مباحثهم — غالبا — على البحث في أواخر الكلمات ، لأنها هي التي انتشر وشاع فيها اللحن كما سبق .
- ٣ — دون أصحاب هذه الطبقة مباحثهم في مؤلفات .
- ٤ — امتزجت مباحث النحو فيها بمباحث اللغة والأدب وغيرهما من فروع اللغة .
- ٥ — عن علماء هذه الطبقة تلقى رؤساء أهل الكوفة النحو، فلقد ذهب أبو جعفر الرؤاسي (١٨٥ هـ) الى البصرة فأخذ عن عيسى بن عمر ، وأبى عمرو بن العلاء ، ثم رجع الى الكوفة ، فنشر علمه هناك كما أخذ عنهم الكسائي (١٨٩ هـ) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة بعد أن تعلم النحو من علماء البصرة، كالخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وغيرهما .

الدور الثاني

دور النمو والنشوء والارتقاء

يعتبر هذا الدور مشتركا بين المدرستين البصرية والكوفية ، ويبدأ من عهد الخليل (١٧٢ هـ) (١) امام الطبقة الثالثة البصرية وأبى جعفر والرؤاسى امام الطبقة الاولى الكوفية ، وفى هذا الدور ثلاث طبقات لكل من البصريين والكوفيين الثالثة والرابعة والخامسة للبصريين ، والاولى والثانية والثالثة للكوفيين ، وهناك الحديث عن كل طبقة من الفريقين وأشهر علمائها :

أولا - الطبقة الثالثة البصرية :

تبدأ هذه الطبقة من عهد الأخفش الأكبر (١٧٢ هـ) الى عهد يونس (١٨٢ هـ) ومن أشهر علماء هذه الطبقة من يأتى :

١ - الأخفش الأكبر (١٧٢ هـ) أبو الخطاب عبد الحميد ابن عبد المجيد الأخفش الأكبر أحد الأخافشة الثلاثة المشهورين ، وسادس الأخافش الأحد عشر (٢) كان اماما فى

(١) هذا التاريخ تقريبى وهو مانرجحه فقد زيد على ذلك أو ينقص قليلا .

(٢) والأوسط سعيد بن مسعدة ، والأصغر على بن سليمان وسياتيان ، والرابع أحمد بن عمران . والخامس : أحمد بن محمد الموصلى ، والسادس خلف بن عمر ، والسابع عبد الله بن محمد والثامن عبد العزيز بن أحمد والتاسع على بن المغيرة الشاعر والعاشر على بن اسماعيل الفساطمى والحادى عشر هارون بن موسى بن شريك .

(م ٤ - الموجز)

العربية لقي الأعراب وأخذ عنهم كما أخذ عن أبي عمرو وطبقته .

وأخذ عن سيبويه (٨٠ هـ) والكسائي (١٨٩ هـ) وأبو عبيدة (٢٠٩ هـ) وكان ديناً ورعاً ثقة ، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها (٣) .

٢ - الخليل بن أحمد (١٧٢ هـ) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفرهودي نسبة الى فراهيد اليمى ، ولم يسم أحد بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل والد الخليل ، وكان الخليل ذكياً فطناً شاعراً ، وهو أول من استخرج العروض - كما قيل - وحصر أشعار العرب ، وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهيا ضبط اللغة وقد أكمل هذا الكتاب بعده .

كان الخليل من الزهاد فى الدنيا والمنقطعين الى الله تعالى ، أرسل اليه سليمان بن على (١٤٢ هـ) والى الأهواز ، يطلب الشخص الذى لتأديب أولاده فأخرج الخليل الى الرسول خبزا يابساً وقال : ما عندى غيره ، وما دمت أجدته فلا حاجة فى سليمان ، فقال الرسول : فماذا أبلغه عنك ، فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة
وفى غنى غير أنى لست ذا مال

حتى بنفسى أنى لا أرى أحداً
يموت هزلاً ولا يبقى على حال

كان الخليل أستاذًا لسيبويه ، وعامة حكاية سيبويه في كتابه عنه ، وكلما قال سيبويه : « وسألته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله فإنه يعنى الخليل .

ومن كلام الخليل : ثلاثة تنسينى المصائب : مر الليلالى والمرأة الحسناء ، ومحادثات الرجال .

وله من المؤلفات غير كتاب العين كتاب العروض ، والشواهد ، والنقط ، والشكل وفائت العين ، وكتاب الايقاع .

ويقال : انه توفى سنة (١٧٥ هـ) وله أربعة وسبعون عاما ، ويذكرون فى سبب وفاته أنه قال : أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى القاضى فلا يمكنه أن يظلمها ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره فصدمة سارية وهو غافل فانصرع فمات .

رآه أحد الصالحين فى النوم ، فقال له : ما صنع الله بك ؟ قال : رأيت ما كنا فيه لم يكن شيئا ، وما وجدت أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . رحمة الله عليه .

٣ - يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى الولاء ، من أكابر النحويين ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وسمع من العرب كما سمع من قبله ، وأخذ عنه سيبويه فحكى عنه فى كتابه كثيرا كما أخذ عنه الكسائى والفراء .

كانت له مذاهب وأقيسة تفرد بها ، وكانت حقائقه بالبراهين التي يتحصدها طلاب العربية وفصحاء الأعراب والبادية ، وكان يكثر من انشاده قول حسان (٥٤ هـ) :

رب حلم أضاعه عدم المال
وجهل غطى عليه النعيم

وروى خلاد بن يزيد (٢٢٦ هـ) فقال : قال يونس : ثلاثة والله أنشئني أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة : آدم عليه السلام ، فأقول له : قد مكنك الله تعالى من الجنة ، وحرم عليك الشجرة فقصدتها حتى طرحتنا في هذا المكروه ، ويوسف عليه السلام فأقول له : كنت بمصر وأبوك يعقوب يكتنعان ، وبينك وبينه عشر مراحل ، يبكي عليك حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم ترسل اليه : أنى في عافية وتريحه مما كان فيه ، وطلحة والزبير - رضى الله تعالى عنهما - فأقول لهما : ان على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بايتماه بالديانة وخالفتماه بالعراق ، فأى شيء أحدث ؟ فوفى يونس بن حبيب سنة (١٨٢ هـ) قيل : وقد جاوز المائة ولم يتزوج (٥) .

شأنياً - الطبقة الأولى من الكوفيين :

يتأهل الطبقة الثالثة من البصريين الطبقة الأولى من الكوفيين ، ومن أشهر علمائها :

١ - أبو جعفر الرؤاسي (١٧٥ هـ) وهو أبو جعفر محمد ابن الحسن الرؤاسي ابن أخى معاذ الهراء ، ويسمى بالرؤاسي ،

لكبير رأسه وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو ،
كان أستاذا للكسائى والفراء ، وكان رجلا صالحا .

يروى عنه أنه قال : أرسل الى الخليل بن احمد يطلب
كتابى فبعثته اليه فقرأه ووضع كتابه .

واذا قال سيبويه فى كتابه : وقال الكوفى : فانما
يعنى الرؤاسى يقول المبرد : عرف الرؤاسى بالبصرة ، وقد
زعم بعض الناس أنه صنف كتابا فى النحو فدخل السجدة
ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت اليه ولم يجرؤ على انظاره
لما سمع كلامهم ، ومن تصانيفه : كتاب الفصيل ، ومعانى
القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء الكبير والصغير ، وكتاب
فى الجمع والافراد (٦) .

٢ - معاذ الهراء (١٨٧ هـ) هو معاذ بن مسام الهراء ،
نسبة للأثواب الهروية ، لأنه كان يبيعها ، وهو عم أبى جعفر
الرؤاسى ، ولد فى أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ) (٧)
وعاش الى أيام البرامكة ، وولد له أولاد فماتوا كلهم وهو
باق ، ولم يعرف عنه مصنف .

أخذ عن الكسائى ، وتوفى فى السنة التى نكب فيها
البرامكة (١٨٧ هـ) فى خلافة الرشيد (٨) .

(٦) لم أعثر على وفاته بالتحديد ولعله توفى فى العقد السابع من
القرن الثانى الهجرى وانظر هدية العارفين ٧/٦ .

(٧) يبيع يزيد بالخلافة عام (١٠١ هـ) وتوفى عام (١٠٥ هـ) .

(٨) وانظر نزهة الألباء ٥٢ وطبقات الفحوليين ١٢٥ .

ثالثا - الطبقة الرابعة البصرية :

تبدأ هذه الطبقة من عهد سيبويه (١٨٠ هـ) الى عهد
أبى زيد الأنصارى (٢١٥ هـ) ومن أشهر علمائها :

١ - سيبويه (١٨٠ هـ) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن
قنبر ، ولد بقرية من قرى شيراز يقال لها : البيضاء من عمل
فارس ، وكان مولى لبنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة
ابن خالد بن مالك بن أدد .

وسيبويه : فارسى معرب ، اذ معنى سى : ثلاثون ،
و « بويه » معناها رائحة فكأنه فى المعنى ثلاثون رائحة ،
وقد كان - فيما يقال - حسن الوجه ، وكانت أمه ترقصه
بذلك فى صغره وقيل غير هذا .

ويذكرون فى سبب تعلمه النحو أنه قدم من البصرة
ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد بن سلمة (١٦٧ هـ) فبينما
هو يستملى على حماد قول النبى صلى الله عليه وسلم :
« ليس من أصحابى الا من لو شئت أخذت عليه ليس أبا
الدرء » (٣٢ هـ) (١٣) .

فقال سيبويه : ليس أبو الدراء ، حيث ظنه اسم ليس ،
فقال حماد : لحن يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهب ،
وانما « ليس » ها هنا استثناء ، فقال سيبويه : سأطلب
علما لا تلحننى فيه فلزم الخليل فبرع وقيل : جاء سيبويه
الى حماد بن سلمة ، فقال : أحدثك هشام بن عروة (١٤٦ هـ)
عن أبيه (٩٣ هـ) فى رجل رعى - بفتح الراء - وضم
العين - فى الصلاة ؟

(٩) توفى فى خلافة عثمان - رضى الله تعالى عنه - وانظر
الاستيعاب ٦٤٣ .

فقال حماد : أخطأت ، انما هو رGF - بفتح الراء والعين - فانصرف الى الخليل ، فشكا مالقيه من حماد ، فقال له الخليل : صدق حماد ، ومثل حماد يقول هذا ، ورGF - بضم العين - لغة ضعيفة والصحيح رGF - بفتحهما - ومهما قيل فى السبب فان سيبويه يشتهر بكتاب قرآن النحو ، ومعظم ما فى كتابه أخذه عن الخليل ويونس والأخفش الكبير وعيسى بن عمر •

قيل ليونس بعد موت سيبويه : ان سيبويه ألف كتابا فى ألف ورقة من علم الخليل ، فقال : ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل ! جيئوني بكتابيه ، فلما رآه قال : يجب أن يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عنى •

وكان المبرد يقول - لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه - هل ركبت البحر ؟ تعظيما ، واستصعابا لما فيه •

وقال بعض علماء عصره : كنت عند الخليل فأقبل سيبويه ، فقال : مرحبا بزائر لا يمل ، وما سمعت الخليل يقولها لغيره •

وقال الجرمى (٢٢٥ هـ) فى كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتا ، سألتها عنها فعرف ألفا ، ولم يعرف الخمسين •

وقد اختلف فى سنة وفاته فقيل سنة (١٨٠ هـ) وقيل فى سنة (١٦١ هـ) •

وقيل سنة (١٨٨ هـ) ، وقيل فى سنة (١٩٤ هـ) ، وسنه لم يجاوز النيف والثلاثين ، وقيل جاوز الأربعين ، وقيل

غير ذلك ، ولكن نرجح أنه توفي سنة (١٨٠ هـ) لأن يونس
توفي سنة (١٨٢ هـ) وقد سئل يونس بعد موت سيبويه
عما في كتابه مما أخذه عنه كما تقدم قريباً .

وتذكر كتب التراجم أنه توفي اثر المناظرة التي كانت
بينه وبين الكسائي ويجدر بنا في هذا المقام أن نورد
هذه القصة كما رواها الفراء .

يقول الفراء : قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن
خالد (١٩٠ هـ) على الجمع بينه وبين الكسائي ، فجعل
لذلك يوماً ، فلما حضر تقدمت أنا والأحمر فدخلنا فإذا
بمثال في صدر المجلس ، فقعده عليه يحيى ، وقعد على
جانب المثال جعفر (١٨٧ هـ) والفضل (١٩٣ هـ) ومن حضر
بحضورهم ، ثم حضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر (١٩٤ هـ)
فيسأله عن مسألة فأجاب فيها سيبويه فقال له : أخطأت ، ثم
سأله ثانية فأجابه ، فقال : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثة
فأجابه ، فقال أخطأت ، فقال سيبويه : هذا سوء أدب ،
ويستمر الفراء فيقول : فأقبلت عليه فقلت : ان في هذا الرجل
جدا وعجلة ولكن ما تقول فيمن قلل هؤلاء أبون ومررت
بأبين ، كيف تقول على مثال ذلك من وأيت أو أويت ؟ فقدر
وأخطأ ، فقلت له : أعد النظر ، فقدر فأخطأ ، فقلت : أعد
النظر ، فقدر فأخطأ ، فقلت : أعد النظر : ثلاث مرات يجيب
ولا يصيب ، فلما كثر بذلك عليه ، قال : لست ألكمما أو يحضر
صاحبكما حتى أناظره ، فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه ،
فقال : تسألني أو أسالك ؟ فقال : لا بل تسألني أنت ، فأقبل
عليه الكسائي فقال : ماتقول أو كيف تقول : قد كنت
أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا
هو إياها ، قال سيبويه : فإذا هو هي ولا يجوز النصب ،

فقال له الكسائي لحننت ، ثم سأله عن مسائل من هذا النوع
مثل : خرجت فإذا عبد الله القائم بالرفع والقائم بالنصب ،
قال سيديويه في ذلك على الرفع دون النصب ، فقال الكسائي :
ليس هذا كلام العرب ، العرب ترفع ذلك كله وتنصب فدفع
سيديويه قوله ، فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا
بلديكما ، فمن يحكم بينكما ، قال الكسائي : هذه العرب
بببائك قد وفدوا عليك وهم فصحاء الناس فاسألهم ،
فقال يحيى : أنصفت ، فأحضروا فسئلوا فاتبعوا الكسائي ،
فاستكان سيديويه ، وقال : أيها الوزير سألتك الا ما أمرتهم
أن ينطقوا بذلك فان ألسنتهم لا تجرى عليه ، وكانوا انما
قالوا : الصواب ما قاله الشيخ ، فقال الكسائي ليحيى—
أصلح الله الوزير : انه قد وفد اليك من بلده مؤملا فان رأيت
الا ترده خائبا ، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم ، فخرج الى
فارس متأثرا بهذا فمات (١٤) .

٢ — اليزيدى (٢٠٢ هـ) هو أبو محمد يحيى بن المبارك
ابن المغيرة العدوى أبو محمد اليزيدى كان مقرئا كما كان
نحويا لغويا ، وهو مولى لبنى عدى بن مناة بصرى المذهب
أخذ العربية عن أبي عمرو وابن أبي اسحاق الحضرمي
كما أخذ اللغة والعروض عن الخليل ، وهو أحد الفصحاء
العالمين بلغة العرب والنحو ، وكان مؤدبا لأولاد يزيد بن
منصور الحميرى (١٦٥ هـ) ولذا نسب اليه ، ثم أدب المأمون
(٢١٨ هـ) ثم خلف أبا عمرو بن العلاء فى القراءة .

وكان الخليل يحبه ، اذ يروى أنه دخل على الخليل
وعنده جماعة وهو جالس على وسادة فأوسع له فجلس معه

اليزيدى على وسادته ، فقال له اليزيدى : أحسبني قد ضيقت عليك ! فقال الخليل : ما ضاق مكان على اثنين متحابين والدنيا لاتسع اثنين متباغضين .

ويحكى أن اليزيدى تكلم مع الكسائى بين يدي الرشيد (١٩٣ هـ) فظهر كلامه على الكسائى فرمى بقلنسوته فرحا بالغلبة فقال الرشيد : لأدب الكسائى مع انقطاعه أحب إلينا من غلبك مع سوء أدبك ، فقال : والله ان فرحة النصر أنستنى نفسى .

وكان اليزيدى أحد الشعراء ، وله جامع شعر وأدب ، وفيه قصيدته التى يمدح فيها نحوي البصرة ويهجو نحوي الكوفة وأولها :

يا طالب العلم ألا فابكه

بعد أبى عمرو وحماد (١)

ومن مؤلفاته : كتاب المختصر فى النحو والممدود والنقط والشكل .

٣ — أبو زيد (٢١٥ هـ) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى الخزرجى كان اماما مشهورا عالما بالله والنحو ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ورؤية بن العجاج (١٤٥ هـ) وعمرو بن عبيد (١٤٤ هـ) ، وأخذ عنه أبو حاتم السجستانى (٢٥١ هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) وغيرهم .

وروى له أبو داود (٢٧٥ هـ) والترمذى (٢٧٩ هـ) وقد شهد جده ثابت (٤٥ هـ) أحدا والمشهد بعدها ، وكان

(١) البغية ٤١٤ وطبقات النحويين ٦٠ ونزهة الألباء ٨١ .

ثابت هذا أحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا قال سيبويه في كتابه : سمعت الثقة فانما يريد أبا زيد الأنصاري ، يحكى عن أبي زيد أنه قال : كنت ببغداد فأردت أن اتجه الى البصرة فقلت لابن أخى : أكثر لنا ، فجعل ينادى : يا معشر الملاحون ، فقلت له : ويلك ماتقول ! فقال : جعلت فداك أنا مولع بالرقع لا بالنصب .

وعلى الرغم من أن أبا زيد بصرى الا أنه كان يروى عن علماء الكوفة كثيرا ، ولا يعلم أحد من علماء البصريين النحويين واللغويين أخذ عن أهل الكوفة الا أبا زيد الأنصاري (١٦) .

ولأبى زيد تصانيف كثيرة : منها كتاب لغات القرآن وخلق الانسان والنوادر وبيوت العرب وفعلت وأفعلت وغريب الأسماء .

٤ - الأصمعى (٢١٦ هـ) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع بن على بن أصمع الباهلى أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر وروى عن أبى عمرو بن العلاء ، وقرة بن خالد (١١٢ هـ) (١٧) ونافع بن نعيم (١٦٩ هـ) وشعبة (١٦٠ هـ) وحمام بن سلمة (١٦٧ هـ) وغيرهم . قيل عنه : ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعى ، ولم يكن ممن يكذب ، وكان من أعلم الناس فى فنّه ، وكان يتقى أن يفسر الحديث كما يتقى أن يفسر

(١٢) نزّهة الألباء ١٢٥ والبيغية ٢٥٤ .
(١٧) تهذيب التهذيب لابن العسقلانى ٣٧١/٨ .

القرآن لكنه كان بخيلا ومعنيا بجمع أحاديث البخلاء
فناظر هو وسيبويه ، فقال يونس : الحق مع سيبويه ،
وهذا يغلبه بلسانه ، وكان من أهل السنة ، ولا يفتى الا
فيما أجمع عليه علماء اللغة .

ويقول حماد بن أبي اسحاق بن ابراهيم الموصلي
(٢٢٠ هـ) كنت عند أبي يوما فقال : يا بني عجائب الدنيا
معروفة ومنها الأصمعي (١٨) .

رابعاً - الطبقة الثانية من الكوفيين :

من أشهر علماء الطبقة الكسائي ، بل هو المؤسس
الحقيقي - كما يقال - لدرسة الكوفة ، ولذلك يكتفى
بالحديث عنه في التمثيل لهذه الطبقة .

(١٨) نزهة الألباء ١١٢ ، وطبقات النحويين ١٨٣ .

(الكسائي ٨٩ هـ)

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان
الامام أبو الحسن الكسائي من ولد بهمن بن فيروز مولى
بذى أسد ، امام الكوفيين فى النحو واللغة وأحد القراء
السبعة المشهورين ، وسمى بالكسائي ، لأنه أحرم فى
كساء وكان من أهل الكوفة ، لكنه استوطن بغداد وقرأ
على حمزة الزيات (١٥٦ هـ) ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع
من سليمان بن أرقم ، وأبى بكر ابن عياش (١٩٣ هـ) وقد
تعلم النحو على كبر ، ويذكرون فى سبب تعلمه النحو أنه
جاء الى قوم وقد أعيا ، فقال : قد عييت ، فقالوا له أتجالسنا
وأنت تلحن ؟ قال ، وكيف لحنت ؟ قالوا : ان كنت أردت من
انقطاع الحيلة ، فقل : عييت ، وان أردت من التعب فقل :
أعييت ، فأنف من هذه الكلمة ، وقام من فوره ، وسأل عن
يعلمه النحو ، فأرشد الى معاذ الهراء ، فلزمه حتى أنفذ
ما عنده ثم خرج الى البصرة فلقى الخليل ، وجلس فى حلقته ،
فقال له رجل من الأعراب : تركت أسدا وتميما وعندهما
الفصاحة وجئت الى البصرة ، فقال الكسائي للخليل :
من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوايدى الحجاز ونجد
وتهامة ، فخرج الكسائي الى البادية ، ورجع وقد أنفذ
خمس عشرة قنينة حبرا فى المكتابة عن العرب سوى
ما حفظ ، ثم قدم البصرة فوجد الخليل قد مات ، وفى
موضعه يونس ، فجرت بينهما مسائل أقر له فيها يونس ،
وصدوره فى موضعه . ويروى عن الفراء أنه قال لى رجل :
ما اختلافك الى الكسائي وأنت مثله فى النحو فأعجبته

نفسى فأتيتته فناظرته مناظرة الأكفاء فكأنى كنت طائرا
يغرف بمنقاره من البحر .

ومع علم الكسائى هذا فقد قال الفراء : مات الكسائى
وهو لا يحسن حد نعم وبئس وأن المفتوحة والحكاية .

وليس هذا عجبا فلقد قال الفراء - عن الخليل وسيبويه
أيضا - : ولم يكن الخليل يحسن النداء ولا سيبويه يدرى
حد التعجب ، ويقول الأصمعى : أخذ الكسائى اللغة عن
أعراب من الحطمية ينزلون بقطر بل فلما ناظر سيبويه
استشهد بلغتهم .

ويقول ابن درستويه : كان الكسائى يسمع الشاذ
الذى لا يجوز الا فى الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه .

ومن مؤلفات الكسائى : معانى القرآن ومختصر فى
النحو كما ألف فى القراءات والنوادر والمصادر والحروف
وغير ذلك .

وقد مات بالرى هو ومحمد بن الحسن (١٨٩ هـ) الفقيه
فى يوم واحد ، وكانا قد خرجا مع الرشيد فقال الرشيد :
دفنت الفقه والنحو فى يوم واحد .

وم نشعر الكسائى :

أيها الطالب علما نافعا

اطلب النحو ودع عنك الطمع

انما النحو قياس يتبع

وبه فى كل امر ينتقع

واذا ما أبصر النحو الفتى

مر فى النطق فاتسع (١٩)

خامسا - الطبقة الخامسة من البصريين :

كانت هذه الطبقة فى عهد الأخفش الأوسط (٢١١ هـ)
وقطرب (٢٠٦ هـ) وهاك كلمة عنهما :

١ - الأخفش الأوسط (٢١١ هـ) هو سعيد بن مسعدة
أبو الحسن الأخفش الأوسط ، وسمى بالأوسط ، لانه كان
قبله الأخفش الكبير شيخ سيبويه الذى مضى الحديث
عنه وبعده الأخفش الصغير تلميذا لمبرد ، والأخفش هذا
أشهرهم ذكرا ، ولذا ينصرف الحديث اليه عند ذكر كلمة
الأخفش مجردة عن الوصف .

كان الأخفش مولى لبني مجاشع بن درام ، من أهل بلخ
سكن البصرة ، وقرأ على سيبويه ، وكان أسن منه ، ولم
يأخذ عن الخليل ، وهو أعلم تلاميذ سيبويه ، وأعلمهم بكتابته ،
ولذا كان يقول : ما وضع سيبويه فى كتابه شيئا الا
عرضه على ، وكان يرى أنه أعلم منى ، وأنا اليوم
أعلم به منه .

وروى عنه أنه دخل بغداد وأقام بها مدة روى وصنف
بها ، وذلك بعد خذلان سيبويه فى المناظرة المشهورة ،
وقد أراد أن يثار لأستاذة وزميله ، فتحرش بالكسائى
وسأله أمام تلامذته : الفراء والأحمر وغيرهما وخطأه فى
اجابته ، حتى هم التلامذة بالوشوب عليه ، ولكن الكسائى
منعهم وأكرم مثواه ، فأقام مع الكسائى ينعم بالحياة
الרגيدة ، وجعله مؤدب أولاده ، وقرأ له كتاب سيبويه ، ولذا
تغيرت عصبية الأخفش للبصريين ووافق الكوفيين فى كثير
من آرائهم ، وهناك أمثلة تدل على موافقته الكوفيين :

(أ) جواز رفع الوصف العامل من غير اعتماد على نفى أو استفهام وكذا الظرف نحو : قائم الزيدان ، وفي الدار زيد ، فيجوز اعراب الاسم الظاهر فاعلا بالوصف أو بالظرف .

(ب) جواز زيادة « من » في الايجاب مع المعرفة مخالفا في ذلك البصريين الذين يشترطون لزيادتها تقدم نفى أو شبهه وأن يكون مدخولها نكرة .

(ج) تعويله على القياس في جواز منع الصرف لأفعل الصفة مع قبوله التاء نحو « أرمل » قياسا على أحمر ، مع مخالفته له ، إذ مؤنث أحمر حمراء ، ومؤنث أرمل أرملة ، ولكنه اكتفى بمشابهته لأحمر في الوزن والوصفية .

(د) جواز رفع المضارع بعد حتى المسبوقه بالنفى قياسا على الايجاب واعتبار النفي داخلا على الكلام برمته ، نحو ماسرت حتى تدخل المدينة ، فأجازه بالقياس لا بالسماع !

(و) جواز صوغ اسم فعل الأمر من الرباعي على فعال قياسا على صوغ اسم فعل الأمر من الثلاثي على فعال كذال ، وجلاس ، فنقول : دحراج وزلزال بمعنى دحرج وزلزل مع أنه لم يسمح من الرباعي ، مؤلفاته في مؤلفات الأخفش : معاني التران ، والمقاييس ، والاشتقاق (٢) .

٢ - قتارب (٢٠٦ هـ) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقتارب كان أحد العامة باللغة والنحو ،

أخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصرة ، وسمى
بقطرب . لأن سيبويه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه
فيقول له إنما أنت قطرب ليل (٣) .

من تصانيفه في العربية : الأضداد ، واعراب القرآن ،
والعلل في النحو ، ومجاز القرآن والغريب في اللغة (٤) .

سادسا - الطبقة الثالثة من الكوفيين :

نكتفي بذكر ثلاثة من أشهر علماء هذه الطبقة وهم
الأحمر والفراء واللحياني :

١ - الأحمر (١٩٤ هـ) هو أبو الحسن علي بن المبارك ،
كان رجلا من الجند الواقفين على باب الرشيد ، وأصله من
النبوة .

كان يحب العربية ولا يقدر أن يجالس الكسائي الا
في أيام غير نوبته فكان يقرضه عند حضوره للرشيد ،
ويسير في حاشيته ، وركابه يسأله عن المسألة تلو الأخرى
حتى عد من أصحاب الكسائي . وكان نكيا فطنا حريصا
على الاستزادة من العلم ، وبذا بز أصحاب الكسائي وتبوا
مكانته ، يقول عنه ثعلب : انه كان يحفظ أربعين ألف شاهد
في النحو .

وقد أنابه الكسائي عنه في تأديب أولاد الرشيد
خشية من أن يتبوا المكان بعض البصريين .

(٢١) القطر بدويصة صغيرة تنب ولا تقتر فتسعى طول نهارها
ولا تستريح .
(٢٢) طبقات النحويين ١٠٦ .

ولما أراد الكسائي انابته ، قال له الأحمر : لعل لا
ثنى بما يحتاجون اليه ، فقال له الكسائي ، انما يحتاجون
كل يوم الى مسألتين فى النحو وبيتين من معانى الشعر ،
وأحرف من اللغة ، وأنا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيتهم فتحفظه
وتعلمهم فقال : نعم ، فجعل يختلف الى الكسائي كل عشيّة
فيتلقن ما يحتاج اليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقنهم
ويأتيتهم الكسائي فى الشهر مرة أو مرتين فيعرضون عليه
بحضرة الرشيد ما علمهم الأحمر فيرضاه فلم يزل الأحمر
كذلك حتى صار لخويا بارعا مقدما على أصحاب الكسائي .

من مؤلفات الأحمر : التصريف ، وتفنن البلغاء (٢٣) .

٢ - الفراء (٢٠٧ هـ) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن
عبد الله بن مروان الديلمي مولى بنى أسد المعروف بالفراء ،
ولقب بذلك لأنه كان يفرى الكلام .

وولد بالكوفة (١٤٤ هـ) وأشهر من تلقى عنهم العربية
الكسائي كما سمع عن الأعراب ، ويرى البصريون أنه أخذ
عن يونس بن حبيب ، وأهل الكوفة ينفون ذلك ، والحق أنه
أخذ عن هؤلاء وهؤلاء فعلى الرغم من أنه كان زائدا العصبية
على سيبويه فلقد وجد كتابه تحت رأسه وكان أكثر مقامه
ببغداد ، فاذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين
يوما يفرق فى أهله ما جمعه ، وكان شديد المعاش لا يأكل
حتى يمسه الجوع .

تبحر الفراء فى علوم كثيرة ، رآه أبو بشر ثمامة بن
الأشوش النميرى (٢١٣ هـ) واقفا على باب المأمون يريد

الوصول اليه ولم يكن يعرفه ، وكان أبو بشر هذا من المقربين
للمأمون ، يقول أبو بشر — عن الفراء — ناقشته في اللغة
فوجدته بحرا وناقشته في النحو فشاهدته نسيج وحده ،
ومى الفقه فوجدته رجلا فقيها ، ووجدته بالنجوم ماهرا ،
وبالطب خبيرا ، وأيام العرب وأشعارهم حاذقا ، فقلت : من
تكون ؟ وما أظنك الا الفراء ، فقال الفراء : انه هو ، فدخلت
وأعلمت أمير المؤمنين فأمر باحضاره لوقته ، وحاطه برعايته
وعهد اليه أن يؤدب ولديه كما اقترح عليه أن يؤلف كتابا
يجمع أصول النحو ، وهيا له دارا خاصة فيها وسائل النعيم
متكاملة ، كما أعد له الوراقين ، فكان يملئ والوراقون يكتبون
حتى أتم الكتاب في سنتين ، ثم ألف كتاب معانى القرآن
بعد أن أرسل له أحد أصحابه عمر بن بكير (٢٤) ، وكان
يحب الحسن بن سهل (٢٣٦ هـ) قائلا : ان الأمير يسألني
عن أشياء في القرآن لا يحضرني عنها جواب فان رأيت أن
تجمع لي أصولا ، وتجعل ذلك كتابا يرجع اليه فعلت ،
فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملئ عليكم كتابا في
القرآن ، وجعل لهم يوما ، فلما حضروا خرج اليهم ، وكان في
المسجد رجل يؤذن فيه ، وكان من القراء ، فقال له الفراء :
اقرأ ، فبدأ بفاتحة الكتاب ففسرها ثم مر في الكتاب
كله على ذلك ، يقرأ الرجل ويفسر الفراء ، وهكذا ألف كتابه
معانى القرآن .

ومن مؤلفاته الأخرى في العربية : البهاء فيما تلحن فيه
العامية ، واللغات ، والمصادر في القرآن ، والجمع والتثنية

فى القرآن ، والمقصود والمدود وفعل وأفعل ، والمذكر والمؤنث ،
والحدود مشتملة على ستة وأربعين حدا فى الاعراب .

وهو القائل : أموت وفى نفسى شىء من حتى ، لأنها
ترفع وتنصب وتخفض وتوفى سنة (٢٠٧ هـ) فى طريق
مكة (٢٥) .

٣ - اللحيانى (٢٢٠ هـ) هو أبو الحسن على بن المبارك
ابن حازم اللحيانى من بنى لحيان بن هذيل بن مدركة ، وقيل
سمى بهذا لعظم لحيته ، أخذ اللحيانى عن الكسائى
وأبى زيد الشيبانى (٢٠٥ هـ) وأبى عبيدة لكن عمده
الكسائى .

قال سلمة (٢٧١ هـ) : كان اللحيانى أحفظ الناس
للنوادير عن الكسائى والفراء والأحمر فمن نوادره أنه حكى
عن بعض العرب أنهم يجزمون « بلن » وينصبون بـ « لم »
وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ : « ألم نشرح لك صدرك »
بفتح الحاء .

وقيل كان الفراء إذا أملى كتابه فى النوادر ودخل
اللحيانى أمسك عن الإملاء حتى يخرج اللحيانى ، فإذا خرج
قال : هذا أحفظ الناس للنادر (٢٦) .

(٢٥) وأنظر نزهة الألباء ٩٨ ، والبغية ٤١١ .
(٢٦) نزهة الألباء ١٧٦ وطبقات النحويين ٢١٣ والبغية ٣٤٦ .

منهج هذا الدور وأثره

اتسعت المباحث فى هذا الدور اتساعا تطلبه الزمان وقانون الارتقاء ، ويمكن تلخيص هذا فيما يلى :

١ - امتد البحث فى هذا الدور الى الصيغ والأبنية كما اتسعت مباحث الأعراب وقطعت شوطا بعيدا ، وان اندرجت مباحث الأبنية والصيغ فى مباحث النحو ، فكان علم النحو يعم الاثنين ، ولذا عرف فى هذا الدور : بأنه علم يعرف به أحوال الكلمة العربية افرادا وتركيبا .

٢ - استقل علم النحو بالمعنى السابق عن المباحث اللغوية الأخرى من أمثال علم اللغة والأدب والأخبار ، وان حرص بعض العلماء على أن يمزج فى بعض مؤلفاته النحو باللغة والأدب والأخبار وما الى ذلك مثل ما فى كتاب العين وبعض كتب المتأخرين كأمالى الزجاجى (٣٣٩ هـ) وابن الشجرى (٥٤٢ هـ) والكامل للمبرد .

٣ - اشتدت المنافسة بين المدرستين البصرة والكوفة واختلفت نزعة كل عن الأخرى فى وضع قواعدها ومقاييسها ومصادرها وتعليقاتها وحرصت كل مدرسة على أن تفوز فى الغلبة على الأخرى بشرف استكمال هذا العلم ، واكتمال فروعه ، فنشبت بينهما نار العداوة فتجادلوا ، وتخاصموا كما عرفت .

٤ - كان للكوفيين فضل السبق في علم الصرف على يد أبى جعفر الرؤاسى فقد عنوا بمسائله حتى فاقوا فيه على البصريين ، وسبقوهم الى استنباط كثير من قواعده ، فاعتبروا المؤلفين الحقيقيين في علم الصرف كما قيل - اذ كانت مباحث الصرف عند البصريين متفرقة في المرتبة الثانية ، ولم يتسع لها البحث في الدور الأول الذى أفردوه - غالباً - بالمباحث الاعرابية ثم بدعوا يفسحون له مادة النحو على يد الخليل ويونس ، وكان يعاصرها أبو جعفر الرؤاسى الذى ذهب لياخذ علم النحو من أهل البصرة ، وحينما رجع الى الكوفة وجد ابن أخيه معاذاً الهراء يشتغل بالأبنيية ، فاشتراك معه فيها الى أن غلبت عليهما النزعة الصرفية .

٥ - كثرت في هذا الدور المؤلفات النحوية ، اذ انتشرت حركة التأليف ، ومن أشهر ما وصل الينا منه كتاب العين للخليل ، وقرآن النحو لسيبويه ، والمقاييس الأوسط للأخفش ، والفيصل للرؤاسى ، والمصادر للكسائى ، وفعل وأفعل ومعانى القرآن للفراء .

الدور الثالث : دور النضج والكمال

يبدأ هذا الدور من عهد كل من الجرمى البصرى (٢٢٥ هـ) وابن سعدان الكوفى (٢٣١ هـ) الى عهد المبرد (٢٨٥ هـ) خاتم البصريين وثعلب (٢٩١ هـ) خاتم الكوفيين ، ويوجد فى هذا الدور طبقتان لكل من البصريين والكوفيين السادسة والسابعة البصريتان ويقابلهما الرابعة والخامسة الكوفيتان ، وهاك الحديث عن أشهر علماء كل طبقة .

أولا - أشهر علماء الطبقة السادسة البصرية :

١ - الجرمى (٢٢٥ هـ) هو صالح بن اسحاق أبو عمر الجرمى البصرى مولى بن زبان من قبائل اليمن ، وكان يلقب بالنباح لكثرة مناظرته فى النحو ، ورفع صوته فيها ، فان النباح هو رفع الصوت .

يحكى أنه اجتمع أبو عمر الجرمى والفراء : فقال الفراء للجرمى : أخبرنى عن قولهم « زيد منطلق » لم رفعوا زيدا ، فقال له الجرمى : بالابتداء ، فقال الفراء : وما معنى الابتداء ؟ قال : تعريته من العوامل ، قال الفراء : فأظهره ، فقال الجرمى : هذا معنى لا يظهر ، قال الفراء فمثله ، قال الجرمى : لا يتمثل ، قال الفراء : ما رأيت كاليوم عاملا لا يظهر ، ولا يتمثل ، فقال له الجرمى : أخبرنى عن قولهم : زيد ضربته بم رفعت زيدا ؟ فقال الفراء : بالهاء العائدة على زيد ، قال الجرمى : الهاء اسم فكيف ترفع الاسم ؟ قال الفراء : نحن لا نبالى من هذا فاننا نجعل كل واحد من المبتدأ والخبر

عاملا في صاحبه في نحو : زيد منطلق ، فقال الجرمي :
يجوز أن يكون كذلك في زيد منطلق ، لأن كل واحد من الاسمين
مرفوع في نفسه فجاز أن يرفع الآخر ، أما الهاء في ضربته
ففي محل نصب فكيف ترفع الاسم ؟ فقال له الفراء : لم
نرفعه به ، وإنما رفعناه بالعائد ، فقال له الجرمي : وما
العائد ؟ فقال الفراء : معنى ، فقال له الجرمي : أظهره ،
قال : لا يظهر ، قال مثله ، قال لا يتمثل ، قال له الجرمي :
لقد وقعت فيما فررت منه ! فلما افترقا قيل للفراء ، كيف
رأيت الجرمي ؟ قال : رأيته آية ، وقيل للجرمي : كيف رأيت
الفراء ؟ قال : رأيته شيطانا .

ويروى عن الجرمي أنه قال : نظرت في كتاب سيبويه
فاذا فيه ألف وخمسون بيتا فأما الألف فعرفت أسماءها ،
وأما الخمسون فلم أعرف قائلها .

وفاته : توفي الجرمي سنة (٢٢٥ هـ) في خلافة
المعتصم (١) .

٢ — التوزي (٢٣٨ هـ) بتشديد التاء والواو المفتوحين
نسبة الى توز — هو أبو محمد عبد الله بن محمد مولى قريش ،
كان من أكابر العلماء البصريين ، قرأ على أبي عمر الجرمي
كتاب سيبويه ، يقول عنه المبرد : ما رأيت أحدا أعلم بالشعر
من أبي محمد التوزي ، كان أعلم من الرياشي والمازني ، وكان
أكثرهم رواية عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٧ هـ) كما
قرأ على الأصمعي وغيره .

ومن مؤلفاته : الأمثال والأضداد (٢) .

(١) البغية ٢٦٨ وطبقات النحويين ٧٦ .
(٢) نزهة الألباء ١٧٢ والبغية ٢٩٠ .

٣ — المازني (٢٤٧ هـ) هو أبو عثمان بكر بن محمد مولى بنى سدوس ، ولد في البصرة ، وتربى في بنى مازن فنسب اليهم ، وروى مع رفيقه الجرمي عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وروى عنه المبرد ، والفضل بن محمد اليزيدي (٢٨٨ هـ) . كان اماما في العربية لا يناظره أحد الا غلبه لقدرته على الكلام ، فقد ناظر الأخفش كثيرا فغلبه .

يقول المبرد : لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان . وحكى المبرد أيضا : قصد بعض أهل الذمة من أهل اللغة أبا عثمان المازني ليقرا عليه كتاب سيبويه ، وبذل مائة دينار على تدريسه فامتنع أبو عثمان من قبول بذله وأصر على رده ، يقول المبرد : فقلت له : جعلت فداك ، أترد هذه النفقة مع فائقك وشدة ضائقك ؟ فقال : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ، ولست أرى ان أمكن منها ذميا غيره على كتاب الله تعالى وحمية له ، ثم قال المبرد : فاتفق أنه أشخص الى الواثق (٢٣٣ هـ) وكان السبب في ذلك أن جارية غنت قول الحارث بن خالد المخزومي (٣) .

أظلم ان مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

فرد التوزي عليها نصب رجل ظانا أنه خبر ان فقالت : لا أقبل هذا ولا غيره ، وقد قرأته هكذا على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني ، فأحضر المازني من سر من رأى فلما دخل على الخليفة قال له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى مازن ، قال : مازن تميم أو شيبان ؟ قال : مازن شيبان ، فقال : باسمك ؟ يريد ما اسمك ؟ وهي لغة بلحارث بن كعب

ينطقون فى مثل هذا بالميم باء فقال : بكر بن محمد ، فقال له الخليفة : فاطبئن - يريد فاطمئن - فجلس ، فسأله عن البيت ، فقال : صوابه رجلا ، فقال له : ولم ؟ فقال المازنى : ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم ، فأخذ التوزى فى معارضته ، فوضحه له المازنى قائلا : هو بمنزلة قولك : ان ضربك زيدا ظلم ، فالرجل مفعول : مصابكم ، وظلم الخبر ، والدليل عليه أن الكلام معلق الى أن تقول : ظلم ، فيتم ، فقال التوزى : حسبى ، وفهم ، واستحسنه الواصل ، ثم أمر له بثلاثين ألف درهم .

ويحكى أن أبا عثمان المازنى سئل بحضرة المتوكل (٢٤٧ هـ) عن قوله عز وجل « وما كانت أمك بغيا » (٤) ف قيل له : كيف حذفت الهاء ، وبغيا فاعيل ، وفاعيل اذا كان بمعنى فاعل لحقته الهاء نحو : فتى وفتية ؟ فقال : ان بغيا ليست فاعلا ، وانما هى فعول بمعنى فاعلة ، لأن الأصل فيها بغوى ، ومن أصول التصريف اذا اجتمعت الواو والياء ، والسابق منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء كما تقول شويت شيا ، وكويت الدابة كيا ، والأصل فيهما شويا وكويا فعلى هذه القضية قيل « بغيا » ووجب حذف التاء منها ، لأنها بمعنى باغية كما تحذف من صبور بمعنى صابرة .

وقد سئل المازنى : عن أهل العلم ؟ فقال : أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة ، والشعراء فيهم هوج ، والنحاة فيهم ثقل ، وفى رواية الأخبار الظرف كله ، والعلم هو الفقه .

ومن مؤلفات المازنى : كتاب فى القرآن وعلل النحو ،
وتفسير كتاب سيبويه ، وما تلحن فيه العامة ، والألف
واللام ، والتصريف - شرحه ابن جنى وهو معروف متداول -
والعروق والقوافى والديباج فى جامع كتاب سيبويه ، وكان
يفسول : من أراد أن يصنف كتابا فى النحو بعد سيبويه
فليستحى .

وتوفى المازنى سنة (٢٤٧ هـ) فى السنة التى قتل فيها
المتوكل وبويع المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل
بالخلافة (٥) .

٤ - أبو حاتم السجستانى (٢٥٠ هـ) هو أبو حاتم
السجستانى سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم من ساكنى
البصرة ، كان امامها فى علوم القرآن واللغة والشعر ، قرأ
كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، وروى عن أبى عبيدة ،
وأبى زيد الأصمعى وغيرهم ، وروى عنه ابن دريد (٣٢١ هـ) ،
وكان المبرد يحضر حلقاته ويلزم القراءة عليه .

يروى أن أبا حاتم دخل بغداد ، فسئل عن قوله تعالى
« قوا أنفسكم » (٦) وما يقال منه للواحد ؟ فقال « ق » وللاثنتين
فقال « قيا » وللجمع فقال : « قوا » فقليل له : فاجمع
الكلام ، فقال : « ق قياقوا » وكان من ناحية المسجد رجل
جالس ، فسمع ذلك ، فأسرع الى صاحب الشرطة ، وقال
له : انى ظفرت بقوم زنادقة يقومون القرآن على صياح
الديك ، فهجم صاحب الشرطة وأعوانه على السجستانى
ومن معه ، فأخذوهم ، فلما حضروا بمجلس الشرطة تقدم

(٥) نزهة الألباء ١٨٢ وطبقات النحويين ٩٢ والبيغة ٢٠٢ .

(٦) التحريم آية ٦ .

السجستاني ، وحكى الأمر ، فعنفه صاحب الشرطة ، وعذله ، وقال له مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا؟ وأمر بضرب أصحابه ، وقال له : لا تعد الى مثل هذا ، فعاد أبو حاتم الى البصرة ، ولم يدخل بغداد بعد ذلك ، ولم يأخذ عن أهلها .

كان السجستاني أعلم الناس بالعروض واستخراج المعنى ، ولكنه يعد من الشعراء المتوسطين ، وقد عنى باللغة ، وترك النحو بعد اعتناؤه به حتى كأنه نسيه ، ولم يكن حائقا فيه ، وكان اذا اجتمع بالمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي (١٨٥ هـ) تشاغل وبادر بالخروج خشية أن يسأله مسألة في النحو .

ومن مؤلفاته : اعراب القرآن ، لحن العامة ، المقصور والممدود ، القراءات الفصاحة ، الهجاء ، والادغام .

توفي سنة (٢٥٠ هـ) وقد قارب التسعين (٧) .

٥ - الرياشي (٢٥٧ هـ) هو أبو الفضل العباسي بن الفرج الرياشي كان مولى محمد بن سليمان الهاشمي ، وقيل له « الرياشي » نسبة الى أبيه الذي كان عبدا لرجل من جذام يسمى برياش ، فلما أعنتقه نسب اليه ثم انسحب اللقب الى ابنه العباس .

قرأ الرياشي النحو على المازني ، وقرأ المازني عليه اللغة . يقول الجرد : سمعت المازني يقول : قرأ الرياشي على كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني ، يعني أنه أفاده لغته وشعره ، وأفاد المازني النحو .

ويقول الرياشى عن المصدر الذى استقى منه البصريون والكوفيون مادتهم النحوية : انما أخذنا نحن اللغة عن حرشة الضباب وآكلة اليرابيع ، وهؤلاء يعنى الكوفيين — أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ .

من مصنفاته فى العربية : ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب ، وفاته : قتله الزنج بالبصرة ، وكان قائما يصلى الضحى فى المسجد سنة (٢٥٧ هـ) (٨) .

ثانيا - أشهر علماء الطبقة الرابعة من الكوفيين :

نذكر ثلاثة من مشهورى هذه الطبقة وهم : ابن سعدان ، والطوال ، وابن السكيت .

١ - ابن سعدان (٢٣١ هـ) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفى النحوى المقرئ ، كان ثقة يقرأ بقراءة حمزة (١٥٦ هـ) ثم اختار لنفسه ففسد عليه الفرع والأصل .

أخذ القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة وقد صنف كتابين أحدهما فى القراءات والآخر فى العربية ، ولد سنة (١٦١ هـ) وتوفى سنة (٢٣١ هـ) يوم عيد الأضحى (٩) .

٢ - الطوال (٢٤٣ هـ) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله ابن قادم الطوال من أهل الكوفة أحد أصحاب الكسائى ، حدث عن الأصمعى ، وقدم بغداد ، وسمع منه أبو عمرو

(٨) طبقات النحويين ١٠٢ والبغية ٢٧٦ .

(٩) البغية ٤٥ .

الدورى (٢٤٦ هـ) كما كان أستاذًا لثعلب ويحكى أن ثعلبا كان فى حلقة علم يشرح لرواده وبينما هو كذلك اذ ورد شيخ يتوكأ على عصا فقال لأهل الحلقة : أفرجوا ، فأفرجوا له حتى جلس الى جانبه ، ثم سأله فقال : قال أبو جعفر الرؤاسى فيها كذا ، وقال الكسائى فيها كذا ، وقال الفراء فيها كذا ، وقال هشام (٢٠٩ هـ) فيها كذا وقلت كذا ، فقال له ثعلب : لن ترانى أعتقد فى هذه المسألة الا جوابك ، فالحمد لله الذى بلغنى هذه المنزلة فيك ، فقال الحاضرون : من يكون هذا الشيخ ؟ فقيل : انه الطوال أستاذ ثعلب .

توفى الطوال سنة (٢٤٣ هـ) (١٠) .

٣ - ابن السكيت (٢٤٤ هـ) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت أخذ عن أبى عمرو الشيبانى (٢٠٥ هـ) (١١) والفراء وابن الأعرابى ، وكان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر ، راوية ثقة وأخذ عنه أبو سعيد السكرى (٢٧٥ هـ) وأبو عكرمة الضبى .

ويحكى المازنى عنه فيقول : اجتمعت مع يعقوب بن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات (٢٣٣ هـ) (١٢) فقال لى محمد بن عبد الملك : سل أبا يوسف عن مسألة فكرهت ذلك ، وجعلت أتباطأ وأدافع مخافة أن أوئسه ، لأنه كان لى صديقا ، فألح على محمد بن عبد الملك ، وقال : لم لا تسأله ؟ فاجتهدت فى اختيار مسألة سهلة ، لأقارب

(١٠) طبقات النحويين ١٥١ والبيغية ٢٠ .

(١١) البيغية ٢١٨ .

(١٢) كان وزيرا للمعتصم وله شعر جيد ويروان رسائل وانظر ابن

حلكان ٥٤/٢ .

يعقوب ، فقلت له : ما وزن نكتل ؟ فقال : نفعل فقلت : ينبغي أن يكون ماضيه كتل ، فقال : لا ، ليس هذا وزنه ، انما هو نفتعل ، فقلت له : نفتعل كم حرفا هو ؟ قال : خمسة أحرف فقلت له : نكتل كم حرفا هو ؟ قال : أربعة أحرف ، قلت : فكيف تكون أربعة أحرف بوزن خمسة ! فحجل وسكت ، فقال محمد بن عبد الملك : فانما تأخذ كل شهر ألفى درهم على أنك لا تحسن وزن نكتل ؟ فلما خرجنا قال لى يعقوب : يا أبا عثمان ، هل تدري ما صنعت ؟ فقلت له : والله لقد قاربتك جهدى ، ومالى فى هذا ذنب .

وروى فى سبب وفاته : أنه حضر مجلس الندام للمتوكل ، فدخل ابنه المعتز والمؤيد ، فقال المتوكل لابن السكيت ، يا يعقوب أيهما خير : الحسن والحسين أم هذان ؟ فقال : قنبر « خير منهم » (١٣) ، وأثنى على الحسن والحسين بما هما أهله فأمر المتوكل الأتراك فديس بطنه فحمل وقيذا (١٤) وعاش يوما وبعض يوم ، فمات يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة (٢٤٤ هـ) ووجه المتوكل الى أمه ديقه (١٥) .

ثالثا - الطبقة السابعة من البصريين :

نكتفى منها بذكر المبرد خاتم البصريين :

(١٣) اسم رجل كان مولى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

(١٤) الوقيذ : المشرف على الموت .

(١٥) البغية ٤١٨ وطبقات النحويين ٢٢١ .

المبرد (٢٨٥ هـ)

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو
العباس المبرد امام العربية ببغداد في زمانه أخذ عن
المازني والسجستاني .

كان الناس بالبصرة يقولون : ما رأى المبرد مثل
نفسه .

وقال نفطويه (٣٢٣ هـ) ما رأيت أحفظ للأخبار بغير
أسانيد منه . لما صنف المازني كتاب الألف واللام سأل
المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب ، فقال
له : قم فأنت المبرد — بكسر الراء يعنى المثبت للحق فغيره
الكوفيون وفتحوا الراء .

كان المبرد غير متقيد بمذهب البصريين والكوفيين ،
دليل هذا مالى :

(أ) فقد منع تقديم خبر ليس عليها مع اجازة البصريين
والكوفيين ذلك .

(ب) جوز ظهور كان بعد أما فى نحو « أما أنت منطلقا
انطلقت » على أن « ما » زائدة لا عوض من كان .

(ج) أنكر وقوع الضمير الانفصل بعد لولا فى مثل
لولاى ولولاك ولولاه ، لكن السماع يرد قوله فى مثل
قوله تعالى : « لولا أنتم لكنا مؤمنين (١٦) » .

وكان المبرد مبرزاً في النحو والصرف واللغة والأدب
ومعرفة أيام العرب وأخبارهم وأشعارهم ، وخير مثال
على هذا كتابه الكامل الذي جمع فيه من كل غصن ثمرة
ومؤلفاته كثيرة من أشهرها المقتضب ، كما ألف في طبقات
النحويين البصريين ، وشرح شواهد سيبويه والرد عليه .

ومهما يكن فإن الخلاف يتمثل بين البصريين والكوفيين
في آخر عالميهما المبرد وثعلب ، إذ كانت بينهما من المناظرات
ما أفاضت في قصصتها كتب التراجم ، إذ رحل المبرد إلى
بغداد فاتصل بالخلفاء والأمراء ، وأخذ يناقش ثعلباً امام
الكوفيين فجرت بينهما مناظرات ومحاورات ووقعت بينهما
العداوة والبغضاء ودار النفور بينهما حتى لقي المبرد ربه،
وبذلك طويت آخر صفحة من علم أعلام علماء النحو
البصري (١٧) .

رابعاً - الطبقة الخامسة من الكوفيين :

نكتفي بذكر خاتمهم ثعلب .

(١٧) وانظر مقدمة تطبيقات نصوصية ٨ والبنية ١١٦ ونزعة
الالباء ٢١٧ .

(ثعلب ٢٩١ هـ)

هو أحمد بن يحيى النحوى بن زيد مولى بنى شيبان
امام الكوفيين فى النحو واللغة فان من تقدمه من الكوفيين
وأهل عصره منهم . نظر فى النحو وله ثمانى عشرة سنة
وصنف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة وكان ثقة صدوقا
حافظا للغة عالما بالمعانى ، حفظ كتب الفراء فلم يشذ عنه
منها حرف ، وعنى بالنحو أكثر من غيره ، فلما أتقنه أكب
على الشعر والمعانى والغريب ، ولزم ابن الأعرابى (٢٣٠ هـ)
بضع عشرة سنة ، وسمع من ابن سلام الجمحى (٢٣١ هـ)
وروى عنه اليزيدى والأخفش والأصمعى ونفطويه وأبو عمرو
الزاهد (٣٤٥ هـ) .

قيل عنه : انما فضل أبو العباس على أهل عصره بالحفظ
للعلوم التى تضيق عنها الصدور .

كانت لثعلب رئاسة النحو فى الكوفة ، اتصل بالخلفاء
والأمراء واجتمع بالمبرد زعيم البصريين فكانت بينهما
مناظرات علمية ولكل منهما شيعته وحزبه ، وكذلك كانت
بينه وبين الرياشى مجالس علمية ، يقول ثعلب : كنت
أسير الى الرياشى لأسمع منه فقال لى يوما : ما تقول
فى قوله :

ماتنقم الحرب العوان منى بازل عامين صغير سننى

فكيف تقول : بازل أو بازل - يعنى بالرفع أو النصب -
فقال ثعلب : أتقول لى هذا فى العربية ، انما أقصده

لغير هذا ، يروى بالرفع على الاستئناف والنصب على الحال ،
والخفض على الاتباع فاستحيا وأمسك .

وقال أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤ هـ) : قال لى ثعلب :
يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا وأصحاب
الحديث بالحديث ففازوا وأصحاب الفقه بالفقه
ففازوا ، واشتغلت أنا زيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون
حالي ؟ فانصرفت من عنده فرأيت النبي - صلى الله عليه
وسلم - تلك الليلة فقال لى : أقرئ أبا العباس منى
السلام ، وقل له : أنت صاحب العلم المستطيل .

وقال أبو عمرو الزاهد : سئل ثعلب عن شيء فقال :
لا أدري ، فقل له : أتقول لا أدري واليك تضرب أكباد الابل
من كل بلد ؟ فقال : لو كان لأملك بعسد ما لا أدري بعسر
لاستغنت ، ومن مؤلفات ثعلب : المقصور في النحو ، واختلاف
النحويين ، ومعاني القرآن ، ومعاني الشعر ، والقراءات ،
والتصغير ، والوقف والابتداء ، والهجاء ، والأمالى ،
وعريب القرآن .

وفاته :

فى آخر حياته ثقل سمعه ثم صم فانصرف يوم
الجمعة من الجامع بعد العصر وإذا بدواب من ورائه ، فلم
يسمع صوت حافرها فصدمته ، فسقط على رأسه فى هوة
من الطريق ، فلم يقدر على القيام فحمل الى منزله ومات
سنة (٢٩١ هـ) وبذلك تكون قد طويت آخر صفحة من
صفحات أعلام نحاة الكوفة (١٨) .

منهج هذا الدور وأثره :

هذا الدور كان ملتقى علمائه في بغداد ، اذ هاجروا من البصرة والكوفة الى بغداد بسبب الاضطرابات ، وكان يجتمع الفريقان فتحدث بينهما المناظرات والمناقشات والاحن والاحقاد ، واجتهد كل في تأييد مذهبه ، وان خفت بعد ذلك حدة العصبية ، وهدأت بعد المبرد وثلعب ، ويمكن تلخيص منهج هذا الدور وأثره فيما يلي :

١ - استقلت المباحث النحوية عن الصوفية فأصبح لكل مبحث خاص وأول من سلك هذا الطريق المازني حيث ألف في الصرف وحده وان تعددت المسالك بعده في المباحث ، فمنهم من سلك مسلكه فألف في الصرف وحده ، ومنهم م نخلط بين الاثنين الا أنه قدم النحو أولا ثم تحدث عن الصرف بعد ذلك وهذا الاتجاه هو المسيطر .

٢ - أكملوا ما فات السابقين ففصلوا ما أجملوا وبسطوا ما أبهموا واختصروا ، فأكملوا التعريفات ، وهدبوا الاصطلاحات .

٣ - دخلت بغداد ميدان دراسة النحو مع أختيها البصرة والكوفة .

٤ - وكان الترجيح بين المذهبين من أهم الخصائص .

٥ — بعد المبرد وثعلب خفت حدة العصبية ، وأخذ العلماء يتعاونون على استكمال ما فات السابقين .

٦ — ألف في هذا الدور كثير من المؤلفات التي تحكى المسائل الخلافية بين المذهبين البصرى والكوفى ، ففتحت الباب بعد ذلك للمؤلفين فى هذا النوع من الموضوعات .

٧ — كان هذا الدور بداية لغرس نبتة المذهب البغدادى الذى فيه دور المقارنة والترجيح !

الدور الرابع

دور الترجيح وهو دور المذهب البغدادى

يبدأ هذا الدور من أوائل القرن الرابع الهجرى ، وقد اختلفت مشارب علماء هذا الدور تبعاً لمن تتلمذوا عليه فمنهم من أخذ عن البصريين - فغلبت عليه النزعة البصرية .

ومنهم من أخذ عن الكوفيين فغلبت عليه النزعة الكوفية ، ومنهم من أخذ عن المذهبيين ونظر الى العلم نظرة خاصة متجردة عن العصبية .

ومن هنا يمكن تقسيم علماء هذا الدور الى ثلاث مجموعات :

- المجموعة الأولى : أصحاب البصريين .
- المجموعة الثانية : أصحاب الكوفيين .
- المجموعة الثالثة : أصحاب الكوفيين .
- المجموعة الثالثة : المتحررين من قيود العصبية المذهبية .
- وهماك الحديث عن أشهر علماء كل مجموعة .

أولاً - البغداديون أصحاب البصريين :

١ - الزجاج (٣١١ هـ) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج ، كان من أكابر أهل العربية من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد .

وكان يخرط الزجاج ثم مال الى النحو فلزم المبرد الذي كان يعلم بأجرة ، وكان للزجاج من مهنته درهم ونصف ، فاتفق مع المبرد على أن يطليه الدرهم على تعليمه النحو ، ويحتفظ بالنصف ويكون ذلك مدى الحياة ، وبالإضافة الى هذا كان يرعى المبرد في معاشه ، ولما طلب عبد الله ابن سلام بن وهب وزير المعتضد (٢٨٨ هـ) (١) من المبرد مؤدبا لولده القاسم اختار المبرد الزجاج الذي قام بتعليم القاسم حتى صار من ندمائه المختارين ومن مؤلفات الزجاج : معانى القرآن والاشتقاق ، وفعلت وأفعلت ، وشرح أبيات سيبويه والعروض والقوافي ، والنوادر .

وتوفى (٣١١ هـ) عن سبعين عاما ، وآخر ما سمع منه ، اللهم احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهما (٢) .

٢ - ابن السراج (٣١٦ هـ) هو أبو بكر محمد بن السرى نشأ ببغداد وكان من أحدث أصحاب المبرد سنا مع نكاه وفطنة ، فكان المبرد يقربه ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، ثم اشتغل بالموسيقا فسئل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ فى جوابها فوبخه الزجاج وقال له : مثلك يخطئ فى هذه المسألة ، والله لو كنت فى منزلى ضربتك ، ولكن المجلس لا يحتفل ذلك ، وما زلنا نشبهك فى الفكاهة بالحسن بن رجا ، فقال ابن السراج : قد ضربتنى يا أبا اسحاق وكان علم الموسيقى قد شغلنى ، ثم رجع الى الكتاب ونظر فى دقائق مسائله ، وعول على مسائل الأخفش والكوفيين ،

(١) والنظر ابن كثير ٨٥/١١
(٢) البغية ١٧٩ وطبقات النحويين ١٢١ .

وخالف أصول البصريين فى مسائل كثيرة ، ويقال : مازال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله .

ومن تلاميذه : الزجاجى (٢٣٣٩ هـ) والسيرافى (٣٦٨ هـ)
والفارسى (٣٧٧ هـ) ومن مؤلفاته : الأصول الكبير ،
والحجة فى القراءات السبعة ، وشرح كتاب سيبويه والشعر
والشعراء والخط والهجاء (٣) .

٣ - الزجاجى (٣٣٩ هـ) هو أبو القاسم عبد الرحمن
ابن اسحاق الزجاجى صاحب الجمل المشهور فى أيدي
الناس .

نسب الى شيخه الزجاج الذى أخذ عنه كما أخذ عن
أبى بكر بن السراج وعلى بن سليمان الأخفش .

نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع فى النحو ثم سكن
طبرية وأملى وحدث بدمشق عن الزجاج ونفطويه ، وابن
دريد وأبى بكر بن الأنبارى والأخفش الصغير .

من أهم مؤلفاته : كتاب الجمل فى النحو صنفه بمكة ،
وكان اذا فرغ من باب منه طاف أسبوعا (٤) ، ومنها الايضاح
الكافى فى النحو أيضا ، وشرح كتاب الألف واللام للمازنى
ومنها الأمالى وتوفى فى طبرية سنة (٣٣٩ هـ) (٥) .

٤ - ابن درستويه (٣٤٧ هـ) هو أبو محمد عبد الله بن
جعفر بن درستويه الفارسى النحوى .

(٣) نزهة الألباء ٢٤٤ والبغية ٤٤٠ .

(٤) أسبوعا : سبعة اشواط .

(٥) نزهة الألباء ٣٠٦ والبغية ٣٩٧ .

أخذ عن المبرد وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٣٦٧ هـ)
وعن الدارقطني (٣٨٥ هـ) وكان شديد الانتصار للبصريين
فى النحو واللغة .

ومن مؤلفاته : الارشاد فى النحو ، وشرح الفصيح ،
وغريب الحديث ، والمقصود والممدود ، ومعانى الشعر ،
وأخبار النحاة وغير ذلك . وتوفى سنة (٣٤٧ هـ) فى
خلافة المطيع (٦) .

٥ - السيرافى (٣٦٨ هـ) هو الحسن بن عبد الله بن
المرزبان أبو سعيد السيرافى النحوى كان أبوه مجوسيا
اسمه بهزاد ، فسماه : أبو سعيد عبد الله .

درس أبو سعيد ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة
والفقه والفرائض وقرأ القرآن على أبى بكر بن مجاهد
(٣٢٤ هـ) واللغة على ابن دريد ، وأخذ النحو عن ابن
السراج ، وولى القضاء ببغداد ، وأفتى فى جامع الرصافة
خمسین سنة على مذهب أبى حنيفة فما وجد له خطأ وما
عثر له على زلة ، ولم يأخذ على الحكم أجرا ، انما كان يأكل
من كسب يده فكان لا يخرج الى مجلسه حتى ينسخ عشر
ورقات بعشرة دراهم تكون بقدر مؤنته .

ومن تصانيفه ، شرح كتاب سيبويه لم يسبق الى مثله ،
ويقال - ان أبا على الفارسى وغيره من معاصريه حسدوه
عليه ، ومنها ألفات القطع والوصل ، والاقناع فى النحو لم
يتمه ، فأتته ولده يوسف من بعده . ومنها شرح شواهد

سيبويه ، والمدخل الى كتاب سيبويه ، والوقف والابتداء ،
كما صنف فى الشعر والبلاغة وأخبار النحويين البصريين ،
توفى (٣٦٨ هـ) فى خلافة الطائىح لله تعالى بن المطيع لله
تعالى عن عمر قارب المائة ، صام منها ما يزيد على أربعين
سنة ، ودفن بمقبرة الخيرزان ببغداد (٧) .

٦ - الفارسى (٣٧٧ هـ) هو أبو الحسن بن احمد بن
عبد الغفار الفارسى النحوى كان من أكابر أئمة النحويين .

أخذ عن أبى بكر بن السراج ، وأبى اسحاق الزجاج
ومبرمال (٣٤٥ هـ) وعلت منزلته فى النحو حتى فضله كثير
من النحويين على المبرد ، بل قيل : ماكان بين سيبويه وأبى
على أفضل منه .

وأخذ عنه جماعة من حذاق النحويين كابن جنى
(٣٩٢ هـ) وعلى بن عيسى الريعى (٤٢٠ هـ) وغيرهما كثير ،
وتقدم عند عضد الدولة (٣٧٢ هـ) (٨) حتى قال عضد
الدولة : أنا غلام أبى على الفارسى فى النحو ، و غلام أبى
الحسن الصوفى (٣٧٦ هـ) (٩) فى النجوم .

لما صنف أبو على كتاب الايضاح لعضد الدولة أتاه به
فقال عضد الدولة : ما زدت على ما أعرف شيئاً ، وإنما
يصلح هذا للصبيان فمضى ، أبو على وصنف له كتاب
التكملة ، وحمله اليه فلما وقف عضد الدولة على ما فيه قال :
غضب الشيخ ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو !!

(٧) طبقات النحويين ١٢٩ والبيغية ٢٢١ .

(٨) ابن خلكان ٤١٦/١ .

(٩) أخبار المكما ١٥٢ .

ويروى أنه اجتمع مع عضد الدولة في الميدان ، فقال له
عضد الدولة : بم ينتصب المستثنى ؟ قال أبو علي : بتقدير
استثنى ، فقال له : لم قدرت استثنى ونصبت ؟ وهلا
قدرت امتنع زيد فرفعت ؟ فقال الفارسي هذا جواب ميداني ،
فإذا رجعت قلب الجواب الصحيح ، وقد اختار أبو علي
في الإيضاح أنه منصوب بالفعل المقدم بتقوية الا (١٠) .

وحكى ابن جنى عن أبي علي أنه قال : أخطىء في خمسين
مسألة في اللغة ولا أخطىء في واحدة في القياس .

ومصداق ما قال أبو علي أنه سئل قبل أن ينظر في
العروض عن خرم متفاعلين ، ففكر وانتزع الجواب من النحو
فقال : لا يجوز ، لأن متفاعلين ينقل الى مستفعلن اذا خبن ،
فلو خرم لتعرض الى الابتداء بالساكن فلما كان لايجوز
التعرض له .

تصانيفه : م نتصانيف أبي علي : الحجة في القراءات
السبعة والتذكرة ، وأبيات الاعراب ، وتعليقه على كتاب
سيبويه ، والمسائل الحلبية والمسائل البغدادية والقصرية
والبصرية والشيرازية والعسكرية والمقصود والمدود ،
والاغفال فيما أغفله الزجاج وتوفى ببغداد سنة
(٣٧٧ هـ) (١١) .

ثانيا - أشهر العلماء الذين غلبت عليهم النزعة الكوفية :

١ - ابن الأنباري (٣٢٧ هـ) هو محمد بن القاسم بن
محمد بن بشار بن الحسين الامام أبو بكر بن الأنباري

(١٠) راجع ما قبل في هذا من حاشية الصبان ١٤٦/٢ .

(١١) البغية ٢١٦ وقد قمت بتحقيق المسائل العسكرية والبصرية .

النحوى اللغوى ، أخذ عن ثعلب وكان أعلم الناس وأفضلهم
فى نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة ، زاهدا متواضعا .

قال أحمد بن يوسف الأصبهاني (٣٥٤ هـ) (١٢) رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : يا رسول الله
عن آخذ علم القرآن ؟ فقال : عن أبى بكر بن الأنبارى وقال :
محمد بن جعفر التميمي (٤١٢ هـ) (١٣) فأما أبو بكر بن القاسم
الأنبارى فما رأيت أحفظ منه ولا أغزر منه فى علمه .

ويروى أنه كان يحفظ ثلثمائة ألف بيت شاهد فى
القرآن ، وكان يملئ من حفظه لا من كتابه .

مرض يوما فعاده أصحابه ، فرأوا من انزعاج والده عليه
أمرا عظيما ، فطيبوا نفسه ، فقال : كيف لا أنزعج ، وهو
يحفظ جميع ماترون وأشار الى خزانة مملوءة كتباً .

وقال أبو الحسن العروضى : اجتمعت أنا وأبو بكر بن
الأنبارى عند الراضى بالله على الطعام ، وكان قد عرف
الطباخ ما يأكل ، فكان يسوى له قلية يابسة فأكلنا نحن
من ألوان الطعام ، وأطايبه وهو يعالج القلية ، ثم فرغنا
وأتيننا بطوى فلم يأكل منها ، فقام وقمنا ، الى الخيش
فنام بين يدي الخيشين ، ونمنا نحن فى خيشين ولم
بشرب الى العصر ، قال : يا غلام : الوظيفة فجاء بماء من
الحب (١٤) ، وترك الماء المزمّل بالثلج فغاظنى أمره ، فصحت
صيحة : يا أمير المؤمنين ، فأمر بإحضارى فقال : ما فى

(١٢) نزها الألباء ٢٩٢ .
(١٣) وانباء الرواة ٨٤/٣ .
(١٤) اناء معروف للماء :

بيتك ؟ فأخبرته ، وقلت يا أمير المؤمنين ، يحتاج هذا الى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه ، لأنه يقتلها ، ولا يحسن عسرتها ، فضحك وقال : يا أبا بكر لم تفعل هذا ؟ قال : أبقي على حفظي ، فقال له أبو الحسن : قد أكثر الناس في حفظك . فكم تحفظ ؟ قال : ثلاثة عشر صندوقا !!

ورأى يوما بالسوق جارية حسناء فوقعت في قلبه ، فذكرها للراضى ، فاشتراها له ، وحملها اليه ، فقال لها : اعتزلى الى الاستبراء ، وكان يطلب مسألة ، فاشتغل قلبه . فقال للخادم : خذ بها وأمن ، فليس ، قدرها أن تشغل قلبي عن علمي ، فأخذها الغلام ، فقالت الجارية : دعني أكلمه بحرفين ، فقالت له : أنت رجل لك محل وعقل ، وإذا أخرجتني ، ولم تبين ذنبي ظن الناس في ظنا قبيحا ، فقال لها : مالك عندي ذنب غير أنك شغلتنى عن علمي ، فقالت : هذا سهل . فلما بلغ ذلك الراضى قال : لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل .

لكن كان أبو بكر بخيلا ، يقول الزبيدي (٣٧٩ هـ) في ذلك عنه . وكان شحيحا ، وما أكل له أحد شيئا قط ، وكان في يسار وسعة ولم يكن له عيال ، وقف عليه رجل يوما فقال له : اجمع أهل سبع فراسخ على شيء فأعطني درهما حتى أفارق الاجماع ، فقال له : ما هذا الاجماع ؟ فقال : على أنك بخيل ، فضحك ولم يعطه شيئا .

مؤلفاته : أملى أبو بكر كتب كثيرة : منها غريب الحديث والهيات والأضداد ، والمشكل والمذكر والمؤنث والمقصود والممدود ، والواضح في النحو ، الموضح كذلك ، واللامات ،

والهجاء ، وشرح شعر الأعشى (٧ هـ) (١٥) وشرح شعر
النابغة (١٨ ق هـ) وشرح شعير زهير (١٣ ق هـ) .
وتوفى ببغداد سنة (٢٢٧ هـ) وقد قارب الستين (١٦) .

٢ - ابن خالويه (٣٧٠ هـ) هو الحسين بن احمد بن
خالويه بن حمدان أبو عبد الله الهمداني النحوي .

دخل بغداد طالبا للعلم سنة (٣١٤ هـ) وقرأ القرآن
على ابن مجاهد ، والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه
(٣٢٣ هـ) وأبى بكر بن الأنباري وأبى عمر والزاهد
(٣٤٥ هـ) وسمع الحديث من محمد بن مخلد العطار
(٣٣١ هـ) ثم أملى الحديث بجامع المدينة وسكن حلب
واختص بسيف الدولة بن حمدان ، وأولاده ، وهناك انتشر
علمه ، وروايته وله مع المتنبي (٣٥٤ هـ) مناظرات .

قال له رجل : أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به
لساني ، فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو وما
تعلمت ما أقيم به لساني .

وسأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات
ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا :
لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قال : أعرف اسمين ،
قال : ما هما ؟ قال : لا أقول لك الا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا
شكر ، فقال له : لك هذا ، فقال : هما صحراء وصحارى
وعذراء وعذارى .

(١٥) هو ميمون بن قيس بن جنيد أحد أصحاب الملققات أدرك
الاسلام ولم يسلم .
(١٦) نزهة الألباء ٢٦٤ والبيهقي ٩١ .

وبعد أن حكى السيوطى على هذا ذكر ثلاثة : اثنين نقلهما عن الجرمى وهما : صلفاء وصلافى - وهى الأرض الخليظة - وخبراء وخبارى - وهى الأرض التى فيها بذرة - وواحدا نقله عن ابن دريد هو : سبتاء وسباتى - وتطلق على المنتشرة الأذن فى طول أو قصر كما تطلق على الصحراء .

ومن أهم تصانيفه : الجمل فى النحو ، والاشتقاق والحجة فى قراءات السبعة ، واعراب ثلاثين سورة ، والمقصود والممدود ، والألفات ، والمذكر والمؤنث ، وكتاب ليس .

وتوفى بحلب سنة (٣٧٠ هـ) (١٧) .

ثالثا - أشهر علماء بغداد الذين تحرروا من قيود العصبية :

نكتفى بذكر ثلاثة منهم وهم ابن قتيبة وابن كيسان والأخفش الصغير ، وماكهم :

١ - ابن قتيبة (٢٦٧ هـ) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى النحوى الكاتب ، وسمى الدينورى نسبة الى دينور ، لأنه كان قاضيا ، أخذ عن أبى حاتم السجستانى وغيره ، وأخذ عنه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وغيره .

وكان عالما فاضلا فى اللغة والنحو والشعر متفهما فى العلوم ومن مصنفاته : غريب للقرآن ، وغريب الحديث ، ومشكل القرآن ومشكل الحديث ، وأدب الكاتب ، وكتاب المعارف ، وعيون الأخبار والرد على القائل بخلق القرآن وطبقات الشعراء .

وفاته : اختلفت كتب التراجم فى وفاته فقبل سنة (٢٦٧ هـ) وقبل سنة (٢٧٦ هـ) وقبل سنة (٢٦٦ هـ) (١٨) .

٢ — ابن كيسان (٢٩٩ هـ) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ، أخذ عن المبرد وثلث حتى صار أنحى منهما ، إذ كان يحفظ المذهب البصرى والكوفى .

يقول أبو حيان التوحيدى (٤٠٠ هـ) ما رأيت مجلسا أكثر فائدة أجمع لأصناف العلوم والتحف من مجلسه ، فكان يجتمع على بابيه نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء والأشراف الذين يقصدونه .

من تصانيفه : المذهب فى النحو ، واللامات ، وغريب الحديث ، ومعانى القرآن وعلل النحو ، وما اختلف فيه البصريون والكوفيون .

وفاته : توفى سنة (٢٩٩ هـ) فى خلافة أبى الفضل جعفر المقتدر بالله تعالى ابن المعتضد (٣٢٠ هـ) (١٩) .

٣ — الأخفش الصغير (٣١٥ هـ) هو على بن سليمان بن الفضل النحوى أبو الحسن الأخفش الأصغر ، ثالث الثلاثة المشهورين ، وتاسع الأحد عشر المذكورين فى الطبقات ، قرأ على ثعلب والمبرد ، وأبى العيناء (٢٨٢ هـ) (٢٠) .

(١٨) نزهة الألباء ٢١٠ وبغية الوعاة ٢٩١ .

(١٩) نزهة الألباء ٢٢٥ وطبقات النحويين ١٧٠ .

(٢٠) محمد بن القاسم بن يسار .

ومن تصانيفه : شرح كتاب سيبويه ، والتثنية والجمع

وقد تعرض لهجاء ابن الرومي كثيرا ، قدم مصر سنة (٢٨٧ هـ) وخرج الى حلب سنة (٣٠٠ هـ) وكان ضيق الحال ، فسأل ابن مقلة (٣٢٨ هـ) أن يكلم الوزير علي بن عيسى (٣٣٤ هـ) في أمره فكلمه فانتهره الوزير انتهارا شديدا ، وأجابه بغلظة في مجلس حافل فشق علي ابن مقلة ذلك ، وانتهت الحال بالأخفش الى أن أكل السلجم (٢١) النبيء فقبض على قلبه فمات فجأة ببغداد سنة (٣١٥ هـ) وقد قارب الثمانين (٢٢) .

(٢١) السلجم : (الملقط) .

(٢٢) بغية الوعاة ٢٣٨ ونزهة الألباء ٢٤٨ .

أمثلة من الطوائف الثلاثة

للمذهب البغدادي

القواعد التي عول فيها المذهب البغدادي على المذهب البصري كثيرة ، حتى ان بعضهم اعتبر المذهب البغدادي امتدادا للمذهب البصري ، فمعظم علمائه اتبعوا البصريين ورجحوا قواعدهم ، أما القواعد التي عولوا فيها على الكوفيين فقليلة نذكر منها ما يلي :

١ - جواز نداء المعرف بأل في الاختيار دون التوصل الى المنادي بأى أو باسم الإشارة •

٢ - اعطاء المستثنى المتقدم على المستثنى منه حكم المستثنى المستثنى منه على سبيل القياس ، فيصير المستثنى منه المؤخر بدل كل ، لأنه عام أريد به خاص •

٣ - مراعاة لفظ الجمع في العدد فيجرد من التاء في نحو: ثلاث حمامات •

٤ - مجيء بلة للاستثناء •

أما القواعد التي استدركوها على البصريين والكوفيين بعبادة عن الخزعة الى هؤلاء وهؤلاء •

فمن أمثلتها :

١ - جواز عدم الفصل بين أن المخففة والفعل المتصرف مثل : علمت أن يخرج بالرفع (١) •

(١) شرح الكافية ٢/٢٢٤ طبعة بيروت •

٢ - جواز بناء اسم لا مع ارتباط الظرف والجار والمجرور به مثل قوله تعالى : « لا عاصم اليوم من أمر الله » (٢) وقولنا : لا أمر بالمعروف (٣) .

٣ - جواز الاتباع لحل المعطوف عليه مع عدم أصالته مثل : هذا ضارب زيدا وأخيه ، يعطف أخيه على محل زيد بتقدير اضافته مع عدم الأصالة وذلك لأن الوصف المستوفى لشروط العمل الأصل أعماله لا اضافته (٤) .

أثر المذهب البغدادى ونهايته

المذهب البغدادى فى الواقع قواعده مزيج من قواعد البصريين والكوفيين فى غالب أمره ، ولقد تأثر العالم به ، إذ كانت بغداد حينئذ كعبة الراغبين فى التحصيل ، واستمرت كذلك حتى منتصف القرن الرابع الهجرى حيث ضعفت الدولة العباسية ، وحدثت الاضطرابات وتغلبت دولة بنى بويه ، وتفرق العلماء تبعاً لتفرق الأحوال ، فانطفأ سراج البحث آنذاك فى بغداد بعد انتهاء النصف الأول من الدولة العباسية الا فى قليل من أماكنه .

وقد اعتبر العلماء انتهاء المذهب البغدادى حداً فاصلاً بين المتقدمين والمتأخرين ، ولذلك أرخوا للمتقدمين بأنهم الذين كانوا قبل تلاحش المذهب البغدادى ، أما المتأخرون فهم الذين كانوا بعد انقراض المذهب البغدادى أى بعد النصف الرابع الهجرى حتى يومنا هذا .

(٢) هود آية ٤٣ .

(٣) شرح الكافية ٢٥٧/١ .

(٤) انظر حاشية الدسوقي ١٢٠/٢ مطبعة الشهيد الحسينى .

ولقد عاش هؤلاء العلماء هنا وهناك حيث يكون الاستقرار والهدوء والطمأنينة في جو يمكنهم من التأليف، فكانوا في الشام والأندلس ومصر، كما بقي بعضهم في البصرة والكوفة وبغداد، فكثر التأليف والبحوث البعيدة عن روح التعصب لهؤلاء وهؤلاء، وإن كانت مرجحة للمذهب البصري غالبا وقليل ما يؤيدون الكوفيين .

ولقد تعددت وتنوعت اتجاهات المؤلفات في عهد العلماء المتأخرين فألفوا في كل جانب من جوانب العلم في العلل والعامل والأصول والفروع، وكثرت المؤلفات الخلافية. ومن أكثرها تداولاً : الانصاف في مسائل الخلاف لكمال الدين أبي البركات بن الأنباري الذي سيأتي الحديث عنه ضمن الحديث عن المؤلفين المتأخرين وهو مقصدنا بعد هذا .

المؤلفون المتأخرون

نكتفي بذكر بعض من اشتهرت مؤلفاتهم بين طلاب العلم ذاكرين ذلك في إيجاز تام ومرتبينهم ترتيباً من القديم إلى الحديث حسب سنوات وفاتهم .

١ - ابن جنى (٣٩٢ هـ) هو أبو الفتح عثمان بن جنى، كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلى، وجنى معرب كنى، وكان ابن جنى أعور بعين واحدة، وفي ذلك يقول - معاتباً صديقاله :

صدودك عني ولا ذنب لي

يدل على نية فاسدة

وقد - وحياتك - مما بكيت
خشيت على عيني الواحدة
ولولا مخافة ألا أراك
لما كان في تركها فائدة

كان من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ،
وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو .

يذكرون : أنه كان يقرأ النحو بجامع الموصل ، فدخل
أبو علي الفارسي ، فوجد ابن جنى يقرأ النحو وهو شاب ،
وكان بين يديه متعلم ، وابن جنى يكلمه في قلب الواو الفا
في نحو قام وقال ، فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصرا ،
فقال أبو علي : زببت قبل أن تحصرم ، ثم قام أبو علي
- ولم يكن ابن جنى يعرفه - فسأل عنه ف قيل له : هذا أبو
علي الفارسي النحوي ، فلزمه من يومئذ أربعين سنة واعتنى
بالتصريف ، ولما مات أبو علي تصدر ابن جنى مكانه
ببغداد .

أخذ عنه الثماني (٤٤٢ هـ) وعبد السلام البصري ،
وأبو الحسن السمسري (٤١٥ هـ) .

كان ابن جنى يحضر عند المتنبي (٣٥٤ هـ) وينساظره
في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أنفة
واكبارا لنفسه ، وكان المتنبي يقول فيه : هذا رجل لا يعرف
قدره كثير من الناس .

ومؤلفاته كثيرة منها الخصائص في النحو ، وسر
صناعة الاعراب ، وشرح تصريف المازني ، وشرح مستغلق

الحماسة ، وشرح المقصور والممدود ، وشرحان على ديوان المتنبي ، واللمع في النحو جمعه من كلام شيخه الفارسي ، والذكر والمؤنث ومحاسن العربية ، والمحتسب في اعراب القراءات الشاذة وشرح الفصيح .

توفي سنة (٣٩٢ هـ) بعد أن عمر أكثر من تسعين عاما (٥) .

٢ - الزمخشري (٥٣٨ هـ) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري ، كان واسع العلم كثير الفضل غاية في الذكاء ، وجودة القريحة متقنا في كل علم معتزليا مجاهرا باعتزاله حنفيا . ورد بغداد ، وأخذ الأدب عن الحسن بن المظفر أبو علي النيسابوري (٤٤٢ هـ) وأبي مضر الأصبهاني (٥٠٨ هـ) وسمع من أبي سعد الشفاني ، وشيخ الاسلام أبي منصور الحارثي . لقب بجار الله ، لأنه جاور بمكة كما لقب بفخر خوارزم . وأصابه خراج في رجله فقطعها له أحد الأطباء ، وركبت له رجل أخرى من الخشب ، كان يلبس عليها ملايس طويلة ، فيظن من يراه ، ولا يعرف ما به أنه يعرج ، ويقول في بداية الكشف : انها دعوة من أمه عليه ، وقيل في سبب عطب رجله غير ذلك .

مؤلفاته : تصانيف الزمخشري كثيرة : منها : الكشف في التفسير والفائق في غريب الحديث والمفصل في النحو والأنموذج في النحو ، وشرح بعض مشكل المفصل والقسطاس في العروض والأحاجي النحوية (٦) .

(٥) بغية الوفاة ٣٢٢ ونزهة الألباء ٣٢٤ .

(٦) بغية الوعاة ٣٠١ .

٣ - أبو البركات كمال الدين الأنباري (٥٧٧ هـ) هو
عبد الرحمن بن محمد النحوي .

لكن يلتبس على كثير منا مدلول ثلاثة يسمون بأبن
الأنباري أولهم أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري
صاحب غريب الحديث وخلق الانسان وخلق الفرس توفي
(٣٠٤ هـ) والثاني ابنه أبو بكر (٣٢٨ هـ) الذي مضى
الحديث عنه ، والثالث كمال الدين هذا (٥٧٧ هـ) وإذا
عرف هذا كان من الأفضل لازالة اللبس اذا أردنا الأول قلنا
القاسم بن الأنباري ، وإذا أردنا الثاني قلنا أبو بكر
الأنباري وإذا أردنا الثالث قلنا أبو البركات كمال الدين
ابن الأنباري ، قدم كمال الدين بن الأنباري بغداد في صباه
وقرأ الفقه على سعد الرزاز ، حتى برع وحصل طرفا
صالحا من الخلاف ، فصار معيدا بالنظامية ، وقرأ الأدب
على أبي منصور الجواليقي ، ولزم ابن الشجري (٥٤٢ هـ)
وسمع بالأنبار من أبيه وببغداد من عبد الوهاب الأنماطي
ويقال : انه ذهب الى الأندلس أيضا .

كان كمال الدين اماما ثقة صدوقا ، فقيها مناظرا
غزير العلم ورعا زاهدا عابدا ، تقيا عفيفا ، ولا يقبل
من أحد شيئا ، خشن العيش والمأكّل .

مؤلفاته : له مؤلفات كثيرة منها : كتاب الانصاف في
مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين الذي طبقت
شهرته الآفاق ، ذكر فيه احدى وعشرين ومائة مسألة خلافية ،
سرد لكل أدلة الفريقين ثم رجح ما رآه بالدليل .

وعلى الرغم من أنه قال فى مقدمته : انه سيراعى الانصاف كما هو عنوان الكتاب الا أننا رأينا قد غلب المذهب البصرى على الكوفى ولم ينصف الكوفيين الا فى سبع مسائل فقط ، والكتاب مطبوع متداول منتشر بين طلاب العربية !

ومن مؤلفاته أيضا : الاغراب فى جدل الاعراب ، وميزان العربية ونزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، والأضداد ، والنوادر ، وعقود الاعراب وكتاب كلا وكلتا ، وكتاب كيف وكتاب الألف واللام ، وشفاء السائل فى بيان رتبة الفاعل ، والوجيز فى التصريف ، والبيان فى أن جمع أفعل أخف الأوزان ، والبيان فى غريب اعراب القرآن ، وزينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء ، وشرح ديوان المتنى ، وشرح السبع الطوال والمقبوض فى العروض وشرحه والموجز فى القواقى (٧) .

٤ - ابن مضاء (٥٩٢ هـ) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمي قاضى الجماعة أبو العباس وأبو جعفر الجياني ، أحد من ختمت بهم المائة السادسة من العلماء .

تقدم فى العربية فكانت له آراء فيها ومذاهب مخالفة لأهلها .

كان واسع الرواية عارفا بالأصول والكلام والطب والهندسة والحساب شاعرا بارعا .

مؤلفاته : منها المشرق فى النحو والرد على النحويين ، وتنزيه القرآن عمالا يليق بالبيان ، وقد ناقضه فى هذا

التأليف ابن خروف النحوى (٦١٠ هـ) بكتاب سماه تنزيه
أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو ، ولما بلغه
هذا قال : نحن لا نبالى بالأكباش النطاحة ، وتعارضنا
أبناء الخرفان .

ولد ابن مضاء سنة (٥١٣ هـ) بقرطبة وتوفى بأشبيلية
سنة (٥٩٢ هـ) (٨) .

٥ - ابن خروف (٦١٠ هـ) هو على بن محمد بن على بن
محمد نظام الدين أبو الحسن بن خروف الأندلسى النحوى ،
أخذ النحو عن ابن طاهر (٥٨٠ هـ) ثم برز فى العربية ،
وقرأ النحو بعدة بلاد ثم أقام بطلب مدة .

له مناظرا مع السهيلي (٥٨٣ هـ) كما أن له ردا على
ابن مضاء .

مؤلفاته : من أهمها : شرح كتاب سيبويه أهداه الى
صاحب المغرب فمتحه ألف دينار ، وله شرح الجمل
للزجاجى ، والرد على ابن مضاء فى كتابه تنزيه أئمة
النحو .

وفاته : فى آخر حياته اختل عقله حتى مشى فى
الأسواق عاريا بادية العورة ثم توفى بأشبيلية سنة
(٦١٠ هـ) .

٦ - العكبرى (٦١٦ هـ) هو عبد الله بن الحسين بن
عبد الله بن الحسين الامام محب الدين أبو البقاء العكبرى
البغدادى الضرير النحوى ، منسوب الى عكبرا .

أخذ العربية على يحيى بن نجاح ، وابن الخشاب
(٥٦٧ هـ) وأقرأ النحو واللغة والمذهب والخلاف والفرائض
والحساب .

أضر فى صباه بالجدرى فكان اذا أراد التصنيف
أحضرت اليه مصنفات ذلك الفن ، وقرئت عليه فاذا حصل
مايريده فى خاطره أملاه . كانت لا تمضى عليه ساعة من ليل
أو نهار الا فى العلم ، وكان حنبلى المذهب ، وقد سأل
جماعة من الشافعية أن ينتقل الى مذهب الشافعى ويعطوه
تدريس النحو بالنظامية فقال : لو أقمتونى وصيبتم على
الذهب حتى واريتمونى مارجعت عن مذهبي .

مؤلفاته : كثيرة منها : املاء مامن به الرحمن فى اعراب
القرآن ، واعراب الحديث ، واعراب الشواذ ، وشرح الفصيح ،
وشرح خطب ابن نباته ، وشرح اللمع ، وشرح أبيات
الكتاب ، واللباب فى علل البناء والاعراب ، والترصيف
فى التصريف ، وترتيب اصلاح المنطق على حروف المعجم
والاستيعاب فى الحساب (٩) .

٧ - ابن معط (٦٢٨ هـ) هو يحيى بن معط بن عبد النور
أبو الحسين زين الدين الزواوى المغربى الحنفى النحوى .

قرأ على الجزولى (٦٠٧ هـ) وسمع من ابن عساكر
(٦٢٠ هـ) ، وأقرأ النحو بدمشق مدة ثم بمصر فى عهد الملك
الكامل الأيوبي .

مصنفاته : منها الألفية فى النحو التى أشار اليها ابن
مالك فى مقدمة ألفيته ، وله كتاب حواش على أصول ابن

السراج فى النحو ، وكتاب شرح أبيات سيبويه ، وله نظم فى القراءات السبع ، ونظم كتاب الصحاح للجوهري (٣٩٣ هـ) فى اللغة ، كما نظم كتاب الجمهرة لابن دريد فى اللغة بل له نظم فى العروض أيضا (١٠) .

٨ - ابن يعيش (٦٤٣ هـ) يعيش بن على بن يعيش بن محمد بن أبى السرايا محمد بن على بن الفضل بن عبدالكريم ابن محمد بن يحيى النحوى الحلبي موفق الدين أبو البقاء المشهور بابن يعيش وكان يعرف بابن الصانع .

قرأ النحو على فتيان الحلبي (٥٦٠ هـ) ، وأبى العباس البيزورى وسمع الحديث على الرضى الشكريتى ، وأبى الفضل الطوسى ورحل الى بغداد ليدرك أبا البركات كما الدين الأنبارى (٥٧٧ هـ) فبلغه خبر وفاته بالموصل :

ثم قدم دمشق وجالس الكندى (٦١٣ هـ) وتصدر بحلب للاقراء زمانا وطال عمره ، وشاع ذكره .

وكان حسن الفهم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدى والمنتهى من مؤلفاته : شرح المفصل وشرح تصريف ابن جنى .

توفى سنة ٦٤٣ هـ وعمره يقارب التسعين (١١) .

٩ - ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) هو عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمر بن الحاجب الكردى .

(١٠) بغية الوعاة ٤١٦ .

(١١) بغية الوعاة ٤١٩ .

ولد باسنا ، وكان أبوه جنديا كرديا حاجبا للأمير
غرار بن الصلاحى حفظ القرآن فى صغره ، وأخذ بعض
القراءات عن الشاطبى (٥٩٠ هـ) وسمع منه التيسير ، وقرأ
بالسبع على ابن الجود ، وسمع من البوصيرى (٥٩٨ هـ)
وتفقه على أبى منصور الأبيارى .

وكان مالكى المذهب الفقهى ، قدم دمشق ودرس
بجامعها فى زاوية المالكية ، وأكب الفضلاء عليه ، وشهرته
بالنحو أكثر .

مؤلفاته : منها مختصر فى الفقه وآخر فى الأصول ،
والكافية فى النحو وشرحها . وقد شرح المفصل لابن
يعيش فى كتاب سماه الايضاح ، كما ألف الأمالى فى
النحو .

وقد خالف النحاة فى مواضع من مؤلفاته وأورد عليهم
اشكالات والزامات مفحمة يعسر الجواب عنها .

وفاته : فى آخر عمره انتقل الى الاسكندرية ليقوم
بها لكن لم تطل اقامته فتوفى سنة (٦٤٦ هـ) (١٢) .

١٠ - ابن عصفور (٦٦٣ هـ) على بن مؤمن بن محمد بن
على أبو الحسن بن عصفور النحوى الحضرمى الأشبيلى
حامل لواء العربية فى زمانه بالأندلس .

أخذ عن الدباج (٦٤٦ هـ) والشلوبين (٦٤٥ هـ) ولازمه
مدة ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة .

تصدر للاشتغال مدة بعدة بلاد وجال بالأندلس ،
وأقبل عليه الطلبة .

وكان أصبر الناس على المطالعة ، ولا يمل من ذلك ، ولم
يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولم يتأهل لغيره .

لكن لم يكن عنده ورع فقد كان مبتلى بالشراب فلم
يزل يرحم بالنارنج الى أن مات سنة (٦٦٣ هـ) .

١٠ - مؤلفاته : منها الممتنع فى التصريف والمقرب
وشرحه وشرح الجزولية ومختصر المحتسب (١٣) .

١١ - ابن مالك (٦٧٢ هـ) هو محمد بن عبد الله بن مالك
العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائى الجيانى النسافى
النحوى نزيل دمشق .

سمع بدمشق من السخاوى (٦٤٣ هـ) (١٤) والحسن
ابن الصباح وأخذ العربية عن جماعة منهم : ابن يعيش
ال حلبى (٦٤٣ هـ) وجالس بطب ابن عمرون (٦٤٩ هـ)
وتصدر بها لأقراء العربية وصرف همهته الى إتقان لسان
العرب والقراءات وعللها ، فكان اليه المنتهى فى نقل غريب
اللغة والاطلاع على وحشيها وكان فى النحو والتصريف
بحرا ، فكان الأئمة يتحIRON فى أشعار العرب التى
يستشهد بها على اللغة والنحو ويتعجبون من أين يأتى
بها . بل كان أمة فى الاطلاع على الحديث ، فكان أكثر
ما يستشهد به القرآن فان لم يجد الشاهد فيه عدل الى
الحديث فان لم يكن فيه شاهد عدل الى أشعار العرب .

(١٣) البيهية ٣٥٧ .

(١٤) انظر الاعلام للزركلى ١٥٤/٥ .

كان يقول عن ابن الحاجب : انه أخذ نحوه من صاحب
المفصل وصاحب المفصل نحوى صغير ، فلا يقول هذا الا
من بلغ الغاية فى العلم .

وكان نظم كشعر عليه سهلا فى رجزه وطويله وبسيطه
وغير ذلك .

وتخرج به جماعة ، فروى عنه ابنه الامام بدر الدين
(٦٨٦ هـ) والشمس بن أبى الفتح البعلبى (٧٠٩ هـ) والبدر
ابن جماعة (٧٣٣ هـ) والعلاء بن العطار .

تصانيفه : كثيرة تزيد على الثلاثين منها : الألفية التى
تسمى بالخلاصة ، لأنها مختصر لتنظيم كتابه الكافية
الشافية الذى نظمه فى ثلاثة آلاف بيت ، ولقد شرحها ،
وطوقت الآفاق شرقا وغربا ، ولم يخل لسان من النطق بها .
ولا عجب فلقد حوت علم النحو والصرف كله .

ومن مؤلفاته أيضا : الكافية الشافية ، وعمدة الالفاظ
فى أصول النحو وشرحه ، واكمال العمدة ، والتسهيل
وشرحه واعراب صحيح البخارى ، وكتاب أفعل مع فعل ،
وكتاب فى الابدال والمالكي فى القراءات .

ويكفيه فخرا ألفيته التى قامت عليها شروح كثيرة
منها : شرح ابنه بدر الدين محمد ، وابن هشام
المصرى (٧٦١ هـ) صاحب المغنى ، وبهاء الدين بن عقيل
(٧٦٩ هـ) وبدر الدين بن أم قاسم المرادى (٧٤٩ هـ) ونور
الدين أبو الحسن الأشمونى (٩٢٩ هـ) وغير هؤلاء كثير .
وتوفى رحمة الله عليه سنة (٦٧٢ هـ) (١٥) .

١٢ - ابن النافلم (٦٨٦ هـ) هو بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك الطائى الدمشقى النحوى ابن النحوى .

كان اماما فى النحو والمعانى والبيان والبديع والعروض والمنطق جيد المشاركة فى الفقه والأصول ، أخذ عن والده ، ولكن حدثت بينهما وقية فسكن بطلبك ، وقرأ عليه بها جماعة منهم بدر الدين بن زيد .

لما مات والده طلب الى دمشق ، وولى وظيفة والده ، وتصدى للاشتغال والتصنيف .

مؤلفاته : منها : شرح الفية والده ، وشرح كافيته ، وشرح لاميته ، وشرح التسهيل والمصباح فى اختصار المفتاح فى المعانى ومقدمة فى العروض ومقدمة فى المنطق . وفاته : توفى بدمشق سنة (٦٨٦ هـ) (١٦) .

١٣ - الرضى (٦٨٦ هـ) هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الاسترأبأدى هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة .

وفى المدينة المنورة شرح الكافية فى النحو لابن الحاجب شرحا لم يوجد مثله فى غالب كتب النحو ثم شرح الشافية فى الصرف لابن الحاجب أيضا وقد أكب الناس على هذين الشرحين وتداولوهما واعتمدهما شيوخ ذاك العصر ، ولم يدع الشرحان شيئا من النحو أو الصرف إلا أوفياه حقه ، وهو فيهما بصرى المذهب غالبا ، لكنه قد يوافق الكوفيين ، وأحيانا ينفرد برأى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

من الأمثلة التي وافق فيها الكوفيون :

(أ) شرطية أن المدغمة في « ما » في نحو : « أما أنت منطلقا انطلقت » حيث قال : ولا أرى قولهم ببعيدا من الصواب لمساعدة اللفظ والمعنى إياه (١٧) .

(ب) وافق الكوفيون في كون كل من التاء والياء والكاف والهاء هي الضمير وذلك في مثل قولنا : أنت وإياي وإياك وإياه حيث قال : وليس هذا القول ببعيد كما قدمنا في أنت (١٨) .

(ج) وافق الكوفيون في أن المصدر المنسبك من أن والفعل في مثل قولنا : عسى زيد أن يقوم - بدل اشتغال ، حيث قال : والذي أرى أن هذا وجه قريب (١٩) .

ومن الأمثلة التي خالف فيها هؤلاء وهؤلاء ما يأتي :

(أ) خالفهم في قولهم : ان اسم فعل الأمر « فعال » معدول عن فعل الأمر ، وذكر وجهة نظره في هذا فقال : والذي أرى أن كون أسماء الأفعال معدولة عن ألفاظ الفعل شيء لا دليل عليه ، والأصل في كل معدول عن شيء ألا يخرج من نوع المعدول عنه أخذا من استقراء كلامهم ، فكيف خرج الفعل بالمعدل من الفعلية إلى الاسمية (٢٠) .

(١٧) شرح الكافية ٢٥٣/١ .

(١٨) شرح الكافية ١٣/٢ .

(١٩) شرح الكافية ٣٠٣/٢ .

(٢٠) شرح الكافية ٧٦/٢ .

(ب) خالفهم في عدمهم عطف البيان نوعا مستقلا في التوابع فرأى ادماجه في بدل الكل اذ يقول : « وأنا الى الآن لم يظهر لى فرق جلى بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان بل لا أرى عطف البيان الا البديل (٢١)

(ج) خالفهم في أن « اذن » حرف ناصب للمضارع كما يقول البصريون وبعض الكوفيين ، أو في أنها اسم أصله اذا ، والنصب بعده بأن مضمرة كما يقول معظم الكوفيين ، اذ يرى أن أصلها « اذ » والنصب بعدها بأن مضمرة (٢٢) .

(د) خالفهم في جعلهم فاء السببية وواو المعية عاطفتين لمصدر منسبك من أن المحذوفة والمضارع على مصدر متصيد من الكلام السابق ، اذ يرى أن الفاء لمحض السببية والواو للحال أو بمعنى مع (٢٣) .

(هـ) خالفهم في جعلهم الصفة المشبهة موضوعة للدوام ، فيرى أنها موضوعة لمجرد الثبوت اذ قال : والذي أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدوث في زمان ليست أيضا موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة ، لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ، ولا دليل فيها عليهما (٢٤) .

وبعد فان لهذين الكتابين بحق قيمة علمية ممتازة ولا يستغنى عن مصاحبتهما طالب علم .

(٢١) شرح الكافية ٢٣٧/١ .

(٢٢) شرح الكافية ٢٣٦/٢ ، ٢٣٧ .

(٢٣) شرح الكافية ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ .

(٢٤) شرح الكافية ٢٠٥/٢ - ٢٠٨ .

وفاته : توفى - رحمه الله تعالى - سنة (٦٨٦ هـ) (٢٥) .

١٤ - ابن آجروم (٧٣٣ هـ) هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجى أبو عبد الله المشهور بابن آجروم ، ومعناه بلغة البربر : الفقير الصوفى . يشتهر بآجروميته التى قامت عليها شروح كثيرة ، واتجاهه فيها اتجاه كوفى ، لأنه عبر عن الجر بالخفض ، وقال : ان الأمر مجزوم ، وذكر «كيفما» من الجوازم ، وهذه الاتجاهات كوفية .

وتوفى بفاس سنة (٧٣٣ هـ) رحمة الله عليه (٢٦) .

١٥ - أبو حيان (٧٤٥ هـ) هو محمد بن يوسف بن على ابن يوسف بن حيان الامام أثير الدين أبو حيان الأندلسى الغرناطى النفزى نسبة الى نفزة قبيلة من البربر ، كان نحوى عصره ولغويه ومحدثه ومقرئه ومؤرخه .

ولد بمطخشازس احدى ضواحي غرناطة ، فأخذ القراءات عن أبى جعفر الطباع ، والعربية عن أبى الحسن الأبدى (٧٠٨ هـ) وأبى جعفر بن الزبير (٧٠٨ هـ) وابن أبى الأحوص (٦٧٩ هـ) .

تقدم فى النحو وأقرأ فى حياة شيوخه بالمغرب ، وسمع الحديث بالأندلس وافريقية والاسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخا .

برع فى النحو والتفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ وأخذ عنه أكابر عصره وتقدموا فى حياته كالشيخ

(٢٥) انظر مقدمة تطبيقات نحوية ٢٠ والبغية ٢٤٨ .

(٢٦) انظر الاعلام ٢٦٠/٧ وبغية الوعاة ١٠٢ .

تقى الدين السبكي (٧٥٥ هـ) وابن أم قاسم (٧٤٩ هـ) وابن عقيل (٧٦٩ هـ) والسمين (٧٥٦ هـ) وناظر الجيش (٧٧٨ هـ) والسفاقي (٧٤٢ هـ) وابن مكتوم (٧٤٩ هـ) .

ومن أشهر تصانيفه البحر المحيط فى التفسير ، واتحاف الأريب بما فى القرآن من الغريب والتذليل والتكميل فى شرح التسهيل وهو مطول اختصره فى ارتشاف الضرب ، كما أن له المبدع فى التصريف ، وغاية الاحسان فى النحو .

وقد كان مذهبه على مذهب أبى الضائع (٦٨٠ هـ) فى منع الاستشهاد بالحديث ، ولذا رد على ابن مالك - الذى جواز الاستشهاد بالحديث - بكلام مسهب فى شرحه على التسهيل (٢٧) .

٦ - ابن هشام (٧٦١ هـ) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى الشيخ جمال الدين العلامة المشهور . تلا على ابن السراج (٧٤٩ هـ) وسمع على أبى حيان (٧٤٥ هـ) ليوان زهير بن أبى سلمى ، وحضر دروس التاج التبريزى (٧٤٦ هـ) وقرأ على التاج الفاكى (٧٣١ هـ) شرح الاشارة الا الورقة الأخيرة .

وقد كان شافعى المذهب لكنه تحنبل بعد ذلك فحفظ مختصر الخرقى (٣٣٤ هـ) فى أقل من أربعة أشهر ، وذلك قبل وفاته بخمس سنين فكان سنة اذ ذاك ثمانيا وأربعين سنة ! أتقن ابن هشام العربية ففاق الأقران بل الشيوخ وحدث عن ابن جماعة (٧٣٣ هـ) بالشاطبية ، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم ، فتصدر لنفع

الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة .

يقول ابن خلدون (٨٠٨ هـ) عنه : ما زلنا ونحس بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه . وكان ابن هشام كثير المخالفة لأبى حيان شديد الانحراف عنه ! مؤلفاته : كثيرة : منها أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك طبع مرارا وشرحه الشيخ خالد الأزهرى (٩٠٥ هـ) فى كتابه التصريح على التوضيح ، وعلق عليه الشيخ الأستاذ المرحوم محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومن كتب ابن هشام شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، ومعنى اللبيب من كتب الأعاريب الذى اشتهر فى حياته وأقبل الناس عليه ، وشرحه كثير من العلماء ، ومن شروحهم عليه : المنصف للسمنى (٨٧٢ هـ) وتنزيه السلف عن تمويه الخلف لابن الضائع (٨١٦ هـ) وحاشية الشيخ الأمير (١١٨٨ هـ) وحاشية الدسوقي (١٢٣٠ هـ) .

وفاته : توفى - رحمه الله - سنة (٧٦١ هـ) بعد أن عاش خمسين سنة كان له فيها شأن كبير فى التعلم والتعليم ودفن خارج باب النصر . بقاهرة مصر العربية (٢٨) .

١٧ - ابن عقيل (٧٦٩ هـ) هو عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل القرشى الهاشمى العقيلى الهمدانى الأصل الشافعى المذهب نحوى الديار المصرية .

أخذ القراءات عن التتقي الصائغ (٧٢٥ هـ) (٢٩) ثم لازم
الجلال القزويني (٧٤٥ هـ) وأبا حيان وغيرهما ، وتبوا
في العربية منزلة مشايخه ، فدرس التفسير بالجامع
الطولوني بعد شيخه أبي حيان .

تصانيفه : من أهمها : تفسير القرآن وصل فيه إلى
آخر سورة آل عمران ، ومختصر الجامع النفيس ، في الفقه
جامع للخلاف والأوهام الواقعة للنووي ، وله المساعد في
شرح التسهيل أملاه ، وله شرح على الألفية وهو المشهور
بشرح ابن عقيل وللسيوطي حاشية على شرحه تسمى
بالسيف الصقيل على شرح ابن عقيل .

وفاته : توفي - رحمه الله - سنة (٧٦٩ هـ) ودفن بمصر
بالقرب من الامام الشافعي (٢٠٤ هـ) رضي الله تعالى
عنهما (٣٠) .

١٨ - الشيخ خالد (٩٠٥ هـ) هو خالد زين الدين بن
عبد الله ولد بجرجا من بلاد صعيد مصر ، ثم نزح وهو طفل
مع أبيه إلى القاهرة ، فحفظ القرآن ، واشتغل مساعدا في
الأزهر فسقطت منه يوما فتيلة على كراسي أحد الطلبة
فشتمه وعيره بالجهل فعز عليه شتمه ، فأراد أن يزيل عن
نفسه عار الجهل فاشتغل بالعلم على الرغم من مجاوزته
العقد الثالث من عمره ، فقرأ في العربية على يعيش المغربي
(٩٠٠ هـ) ، والسنبهري (٨٨٩ هـ) والشتمى (٨٧٢ هـ)
والمناوي (٨٧١ هـ) إلى أن حصل من العلم الشيء الكثير
وصار مؤلفا .

مؤلفاته : منها موصل الطلاب الى قواعد الاعراب وشرح
الأجرومية ، واعراب الألفية ، وشرح أوضح المسالك الى
ألفية ابن مالك ، ويسمى شرح التصريح بمضمون التوضيح
وهو مشهور شرح فيه توضيح ابن هشام ، وحدد في
مقدمته المنهج الذي سار عليه .

وفاته : توفى بقلوبية مصر وهو عائد من الحج سنة
(٩٠٥ هـ) (٣١) .

١٩ - السيوطي (٩١١ هـ) هو الحافظ جلال الدين أبو
الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق
الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين بن سيف الدين خضر
ابن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد
ابن الشيخ همام الخضيرى الأسيوطى الشافعى .

ولد بالقاهرة سنة (٨٤٩ هـ) وتربى بجزيرة الروضة
على ضفاف نيل مصر وختم القرآن وسنه دون الثمانى .

نشأ يتيما ، وكان ذكيا حفظه فتلقف مشايخ العصر فى
كل فن ، وأبرز مشايخه فى النحو الشمنى ، والسيرامى
والكافيجى (٨٨٩ هـ) .

طوف فى سبيل العلم الى الشام والحجاز واليمن والهند
ومؤلفاته نحو ستمائة كتاب ورسالة بين مطول وموجز فى
الفقه والتفسير والحديث وتاريخ القرآن والتاريخ والنحو
وطبقات النحاة والمفسرين ، وفى فن اللغة وفقهها وفى
علوم البلاغة . وأكثر كتبه تداول : الأشباه والنظائر وجمع
الجوامع وشرحه همع الهوامع وشرح الكافية والشافعية

لابن الحاجب ، والاقتراح فى أصول النحو والمزهر فى علوم اللغة وأنواعها وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة وغير ذلك كثير .

وفاته : كانت وفاته بالقاهرة سنة (٩١١ هـ) رحمه الله تعالى (٣٢) .

٢٠ - الأشمونى (٩١٩ هـ) هو أبو الحسن على نور الدين ابن محمد بن عيسى الأشمونى ، ولد بقناطر سباع مصر ، نم توطن القاهرة مكبا على العلم مع تقشف فى المأكل والملبس والمفرش ولا هم الا العلم والمطالعة .

أخذ عن الجلال المحلى (٨٦٤ هـ) والكافيجى (٨٧٩ هـ) والتقى الحصنى (٨٢٩ هـ) .

مؤلفاته : من أشهر مؤلفاته التى خلدت ذكره شرحه على ألفية ابن مالك : سماه « منهج السالك الى الفية ابن مالك » وقد خلا منهج السالك من الإفراط الممل وعلا عن التفريط المخل وكان بين ذلك قواما ، (٣٣) ولم يأل جهدا فى تنقيحه وتهذيبه وتوضيحه وتقريبه .

وقد قامت على شرح الأشمونى عدة حواش منها : حاشية حسن بن على المدايغى (٧٠٠ هـ) وحاشية أحمد بن عمر الأسقاطى (١١٥٩ هـ) وحاشية الحفنى (١١٧٦ هـ) لكن أشهرهن حاشية الصبان (١٢٠٦ هـ) .

وتوفى الأشمونى (٩٢٩ هـ) بعد أن جاوز التسعين رحمه الله (٣٤) .

(٣٢) المرجع السابق ٥٢٤٨ .

(٣٣) الفرقان آية ٦٧ .

(٣٤) الأعلام ١٦٣/٥ .

٢١ - الشيخ يسن (١٠٦١ هـ) هو يسن بن زين الدين ابن أبى بكر بن محمد بن محمد بن الشيخ عليم الحمصى الشهير بالعلمى ، شيخ عصره فى علوم العربية ، وقدوة أرباب المعانى والبيان المشار اليه بالبنان فى محصل التبيان تصدر فى الأزهر لاقراء العلوم ولازمه من أفاضل عصره الأعيان .

مؤلفاته : له حواش كثيرة أشهرها حاشيته المشهورة على التصريح وحاشية على الفاكى (٩٧٧ هـ) وحاشية على شرح المختصر للسعد التفتازانى (٧٩٣ هـ) وحاشية على ألفية ابن مالك (٣٥) .

٢٢ - الصبان (١٢٠٦ هـ) هو أبو العرفان محمد بن على ولد بالقاهرة ونشأ فقيراً متواكلاً ولم يمنعه فقره من حفظ القرآن والمتون والاجتهاد فى طلب العلم .

فتتلمذ على حسن بن على المنطاوى الشافعى الأزهرى المشهور بالمدايغى (١١٧٠ هـ) ومحمد بن محمد بن محمد الحسنى التونسى المالكى المعروف بالبليدى (١١٧٦ هـ) وعطية الله بن عطية البرهانى الشافعى الأجهورى (١١٩٠ هـ) ومحمد بن عبادة بن برى العدوى (١١٩٣ هـ) .

وقد اعترف العلماء بفضله فى مصر والشام ، فالتف حوله الخلائق الكثيرون .

وقد ألف فى مختلف العلوم لكن من أشهر مؤلفاته حاشيته على الأشمونى التى سارت بها الركبان فاحتفى

بها العلماء وعلقوا عليها بالتقارير والحواشي كحاشية محمد بن محمد حسين الأنباري (١٣١٣ هـ) وحاشية أحمد ابن مخجوب (١٣٢٥ هـ) وقد رسم الصبان في مقدمة حاشيته المنهج الذي سار عليه فقال : أما بعد فيقول راجي الغفران: محمد بن علي الصبان غفر الله ذنوبه ، وسقر في الدارين عيوبه : هذه حواش سريفة وتقريرات منيفة ، وتحقيقات فائقة ، وتدقيقات رائقة خدمت بها شرح العلامة نور الحسن أبي الحسن علي بن محمد الأشموني الشافعي على ألفية الامام « ابن مالك » كل الخدمة ، وصرفت في تحرير مبانيها وتهذيب معانيها جميع الهممة ملخصا فيها زبد ماكتبته على كثير مما وقع لهم من أسقام الأفهام وأوهام الأذهان ضامما الى ذلك من نفائس الفكر ما يشرح به الخاطر مضيئا اليه من عرائس بنات فكوى ما تقر به عين الناظر . وحيث أطلقت شيخنا فمرادى به شيخنا العلامة المدابغي (١١٧٠ هـ) أوقلت شيخنا السيد فمرادى شيخنا المحقق السيد البليدي (١١٧٦ هـ) أوقلت البعض فمرادى به الفهامة الفاضل سيدي يوسف الحفني (١١٧٦ هـ) (٣٦) رحمهم الله تعالى ، وجزاهم عنا خيرا ، وما كان زائدا على ما في حواشيه ، وليس معزوا لأحد فهو غالبا مما ظهر لي ، وربما نسبته إلى صريحا ، وعلى الله الاعتماد انه ولي السداد .

هذا ولم ينبه الصبان على رمز آخر استعمله كثيرا كما استعمله الخضرى من بعده وهو « سم » والمراد به ابن قاسم العبادى أحمد شهاب الدين الصباغ (٩٩٤ هـ) الذي له حاشية على شرح ابن الناظم على الألفية .

وفاته : توفى الصبان سنة (١٢٠٦ هـ) وصلى عليه
بالأزهر الشريف فى حفل مهيب (٣٧) .

٢٣ - الخضرى (١٢٨٧ هـ) هو محمد بن مصطفى بن
حسن فقيه شافعى ولد وتوفى فى دمياط مصر ، دخل
الأزهر ، فمرض وصمت أذنائه فعاد الى بلده واشتغل بالعلوم
الشرعية ، والفلسفية واستخرج طريقا لمخاطبته بأحرف
اشارية بالأصابع فتعلمها منه أصحابه فكانوا يخاطبونه بها .

مؤلفاته : كثيرة : منها حاشيته المشهورة باسمه على
ابن عقيل ومبادئ فى علم التفسير وحاشية على شرح الملوى
(١١٨١ هـ) على السمرقندى (٦٠٠ هـ) فى البلاغة .

وفاته : توفى الخضرى سنة (١٢٨٧) عن أربعة
وسبعين عاما (٣٨) .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن
هدانا الله .

رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى
والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين .

• (٣٧) الأعلام ١٨٩/٧

• (٣٨) الأعلام ٣٢٢/٧

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
فائسدة النحو	٤
نشأة النحو	٥
الخطوات الايجابية لوضع النحو وأول من وضعه	١٥
تسميته بعلم النحو	٢١
منشأ الخلاف بين البصريين والكوفيين	٢٥
أبو الاسود الدؤلى	٢٨
دور التكوين والموضع بالدور الأول	٤١
الدور الثانى	٤٩
الكسائى	٦١
منهج هذا الدور وأثره	٦٩
الدور الثالث دور النضج والكمال	٧١
المبرد	٨٠
شعلب	٨٢
الدور الرابع - البغداديون	٨٦
أمثلة للطوائف الثلاثة للمذهب البغدادى	٩٨
أثر المذهب البغدادى ونهايته	٩٩
المؤلفون المتأخرون	١٠٠

رقم الأيداع ٢٨٠١ / ٨٣

القاهرة ٢٠٢١
مركز الدراسات والبحوث
مركز الدراسات والبحوث

To: www.al-mostafa.com